دار رماد للنشر والتوزيع

قصص طويلة

قصص تلامس الواقع

الجزء الثاني

الكاتبة"رفيف أحمد ياقدي"

Dalia Ahmed

قصص طويلة

قصص تلامس الواقع

الكاتبة رفيف أحمد ياقدي

اسم الكتاب /قصص تلامس الواقع

المؤلف /رفيف أحمد ياقدي

تصميم الغلاف /داليا أحمد

تصميم داخلي / رانيا السفوت

تنسيق وتعبئة /غادة علام

مؤسسة الدار /مني عيد

نائب مدير الدار/أسماء شمس

https://www.facebook.com/profile.php?id=100089901491390&mibextid=ZbWKwL

https://www.facebook.com/groups/1339228386579810/?ref=share_group_link

https://www.facebook.com/mona.emansour?mibextid=ZbWKwL

* قِصَّة وعِبْرَة *

تزوجها بالطريقة التي طالما أرادها أن ترى أمه فتاةً في إحدى المناسبات من عائلةٍ مماثلةٍ لهم وتُعاينَ أدَّق تفاصيلها وتتأكَّدَ أنها مطابقة للمواصفات التي يُحبها فقد كان همُّه الوحيد هو الجمال والنسب فلم تَدم الخطوبة سوى بضعة أسابيع لأن حاله المادي كحال عائلتها كما يقولون فوقَ الريح ولأنها كانت تُعامَلُ كأميرة ببيت أهلها وكلُّ كلامها مُطاع زوَّجوها رجلاً بنظرهم حلم أي فتاة جمال ومال كي يلبي طلبات ابنتهم التي لا تنتهي فلا تشعر أنّ وضعها قد تغيَّر عليها ولو بمقدار ذرَّة لتبدأَ بعد زواجهما بأسبوع واحد رحلةَ المشاكل فقد كان رجلاً يرغبُ إنْ قالَ لزوجته أنَّ اللبن أسود يجبُ أنْ تقولَ لهُ معكَ كل الحق وهذا الذي لم تعْتَد عليه فقد كانت ترى موافقتها له على أي طلب تعني الرضوخَ له وأوَّل مشكلة كانت عندما قال لها بشكل مفاجئ:

لقد وعدتُ أهلي أننا سنذهبُ اليوم مساءاً لنسهرَ عندهم فانتفضت غاضبة وعَلا صوتها وهي تقول :

مساءاً يعني بعد ساعتين ؟! ولمَ لم تُخبرني قبل يومين افرِضْ أنَّ لا رغبةَ لي بالخروج من المنزل ؟!

فاشتَعَلَتْ نيران الغضب داخله فلم يَجِدْ نفسه إلا وقد ضَرَبَها كَفَّاً أخْرَجَ الشَّرار من عينيها وشَلَّها عن الحركة بضع دقائق فلم يستطيعا الذهاب كيلا يرى أحدّ علامات أصابعه على وجهها فلا يستطيعا تبرير ذلك أمام أهله فاعتذر منهم بحجة أنها مُتعبة قليلاً

لم تقف المشاكل عند تلك المشكلة فبكل اختلاف بينهما وحتى إنْ جَلَبَتْ شيئاً للمنزل بدون علمه وموافقته عليه كان يضربها بعد مشادَّة كلامية بينهما وعندما تحاول رد ضربته أو تدعو عليه كان يتحوَّلُ ضربه لها لضربٍ مُبرِح

لم تكن تُخبرُ أحداً من عائلتها حتى أمها ولا عائلته خشيةَ أن تهتَزَّ صورتها أمامهم وحتى إن اضْطُرَّتْ أن تُقابل أحداً وعلامات الضرب على وجهها كانت تُبَرّر

ذلك بأنها وقعت من السلم أو اصطدمت بالجدار أو بعمودٍ أو بأحد المارة في الشارع أو سقطت عليها حَلَّةٌ في المطبخ فكانوا يُرجّحون كل الحوادث التي تحصل معها للعَين التي أصابتها بسبب زواجها من فارس أحلام كل فتاة

ومع مرور الأشهر لم يتغيّر بينهما شيء فبكل مرة يَضربها بها كان يُصالحها بقطعة ذهب أو ملابسَ غالية الثمن مع خُروجةٍ لأفخم المطاعم فكانت تُفَوّتُ له كلَّ شيء فلم يتغيَّر أحد منهما ولا أوصلا نفسيهما لحلّ يُرضيهما غير أنهما كانا رافضان أن يُدخِلا أحداً من عائلتيهما بينهما فكانا مع فكرة أنَّهُ لا يجبُ أن يَعرِفَ حتى أقربُ المقربين بخصوصيات بيتهما لحينِ أنجبَتْ مولودهما الأول

ولأنهما كانا في حالة هُدنة مَضَتْ بضعةُ أشهرٍ بعد ولادتها كنفس أشهر حملها فقد تجَنَّب الحديثَ معها خشيةَ أن يؤذي غضبها ولي العهد وهو جنين في بطنها وبنفس الوقت قد تَجَنَّبَتْ أن تقوم بأيّ فعلٍ قَدْ يُثيرُ غَضَبَهُ خشيةَ أن يضربها ضربةً تُودي بحياة

جنينهـا فقـد كـان سـبب قبولهـا للـزواج وخسـارةَ دلالِ عائلتها هو أن تُصبحَ أماً

اعتـادا علـى ذلـك الحـال لحـينِ جـاء اليـوم الـذي أيقـنَ بـهِ أنـه قـد تعـرَّضَ لعمليـة نصـب فـي عملـه فعـاد إلـى المنـزل وهـو يستشـيظ غضـباً وكـان عازمـاً ألا يُخبرهـا خشـية أن تَتَفـوَّه بكلمـة سـاخرة تجعلـه يـودي بحياتهـا فـدخل كالمعتـاد فـي وقـت الغـداء ليتفاجـأ أنهـا لـم تطهـو شـيئاً فَرَمْجَـرَ غاضباً:

أين الطعام يا عديمة الفائدة

فكانـت آخـر كلمتـين كفيلتـين بإعـادة تـذكيرها بطبيعتهـا التي اعتادَتْ عليها فصرخَتْ قائلة:

مـن عديمـة الفائـدة يـا صـاحب اللسـان الطويـل لـو عَرِفْـتُ أنكَ قليل التهذيب لما تزوجتك

كانـت تلـك الجملـةِ كفيلـةً بجعلـهِ ينقلـبُ لرجـل آخـر فأصـبح يضـربها بـلا وعـي واسـتمر ضـربه لهـا وقتـاً لـم يأخـذهْ قـط ممـا جعـل الجيـران يهرولـون بسـبب صـراخها وكادوا أن يكسروا الباب وهم يقولون :

ستقتلها اتق الله لديكما ولد

مما جعلهُ يعود إلى رشده بلحظة وفتح الباب فهرولت النساء إليها وعندما رأَيْنَها مُلقاةً على الأرض وقد أوشكت أن يُغمى عليها وهي عاجزة عن الحركة نَقَلْنَها إلى المشفى مع أزواجهن الذين كانوا بانتظارهنَّ عندَ الباب وزوجها واقفٌ كتمثالٍ مُحَنَّط من هول الصدمة فحمَلَت إحدى الجارات ابنه ووقَفَتْ مع زوجها كي تتصل بأم جارتها لأنها كانت على معرفةٍ بها

هَروَلَت عائلتها بذعر إلى المشفى التي كانت قد طلبت الشرطة للتحقيق وعندما شَهِدَ الجيران أنَّ زوجها الجاني قاموا بالقبض عليه وزَجّه بالسجن

وبعد أنْ حَدَّدَ الأطباء وقتاً إنْ لم تصحو خلالهُ ستدخلُ بغيبوبةٍ ربما أبدية أفاقَت بأعجوبة وكأنها كانت تُعارِكُ الموتَ كي لا تدع ابنها يحيا بدونها

مضت ساعاتٌ استرجَعَت المرات التي ضُرِبَتْ بها لحين آخرمرة ورأت أنها كانت تُهانْ لرفضها أن تعيشَ كجاريةٍ عنده فهي لم تحتمل نعتها بعديمة الفائدة

كونها لم تطهو بسبب انشغالها بابنها ولآخر وقت كان تعتقدُ أنها ستستطيع طَهوَ أي شيء سريع قبل قدومه فلم تُخبرهُ أن يُحضِر شيئاً معه لأنها كانت تعلم أنَّه يمقُتُ تناول وجبات الطعام الجاهزة لأنه بكل مرة يأخذها للمطعم كان لا يشرب سوى فنجان قهوة ويطلب لها الطعام

وتذكَرت بأنّ خوفها الذي طالما خشيَتْهُ أنْ يحصل قد حصل فقد اهتَزَّتْ صورتها أمام عائلتيهما مما جعلها ترفع دعوى طلاق إلى جانب محاولة القتل العمد واستطاعت أن تأخذَ الحكم بالطلاق البالغ السرعة بسبب التقرير الطبي إلى جانب حضانة ابنها وبعد ذلك تَنازَلَتْ عن حقها لأجل ابنها ولكن أُطلِقَ سراحه بعد أن أمضى مدة أقل من التي سيمضيها لو لم تتنازل عن الدعوى

ولأنَّ كل الناس أصبحوا على علم بأنَّ زوجته لا تحترمه مضى كل يوم له في السجن وهو يزداد كرهاً لها فقد كان يجدُ أنَّ كل الحق معه بضربها لعدم احترامها له وحتى لو بالغَ آخرَ مرة فلديه عذره وما

إن خَـرَجَ حتـى تـزوّج امـرأة مـن اللـواتي يَحلُمْـنَ بـه بعـد أن ألقـى كـل اللـوم علـى طليقتـه التـي عاشـت بقيـة حياتهـا تُرّبـــي ابنهـــا خشـــية أن يَحرمهـــا منـــه بـــأي طريقـــةٍ إن تزوجَـتْ وربَّتْـهُ لأنْ أصـبحَ شـاباً فـرفضَ تركهـا والعـيشَ مع أبيه ولم يأخذْ أياً من صفاته إلا شكله الوسيم

انتهت

****

قصة تحمل في طيَّاتها عبرة

مع أنَّ زواجي كان كما يُقال عنه زواج صالونات لكني كنتُ أرى نفسي محظوظة بزوج يعاملني دوماً برفق ولين ويحترمني عندما نكون وحدنا أو بين الناس لكن أمه كان حالها كحال أغلب أمهات الأزواج تراني قد سرقْتُ ابنها منها ؛ وعلى الرغم من محاولاتي لتصحيح المفهوم الخاطئ الذي تعشَّشَ بعقلها لكني كنتُ كمن يحاول النقشَ على الماء فكانت تسعى أن تُشَوّه صورتي أمام زوجي لكنها تفشلُ دوماً لحينِ استطاعت بمكر الثعالب أن تُحيكَ قصةً جعلَتْ زوجي يُطَلّقني.

أهدتها ابنتها خاتماً من الذهب بمناسبة عيد الأم وبعد بضعة أيام أخبرتنا أنها ستذهبُ لتنام عند ابنتها وستعود في اليوم الذي يليه كما اعتادت وعندما عادت دخلت غرفتها لتبدّل ثيابها وخرجت تصرخ قائلة :

لقد سُرِقَ خاتمي

خرجنا أنا وزوجي مذعورين فقلتُ لها :

ابحثي بينَ ثيابك فربما قد سقط منك أو أخذتيه معك بدون أن تنتبهي وضاع

فانفجرت بوجهي قائلة :

لقد وضعته بيدي في الخزانة وتأكدْتُ منه قبل ذهابي ولا أحد في المنزل سواك إذاً أنتِ السارقة قررتي أن تسرقيه مني وتلقي اللوم عليّ بأني أنا التي لم انتبه له

لم أستطع تمالك نفسي وانهالت دموعي وأنا احلف لها بأنَّ لا علاقة لي لكن عندما مثَّلَتْ بأنها قد أُغمِي عليها انفجر زوجي بوجهي وقال إن أمي ستموت بسبب سرقتك اذهبي لمنزل أهلكِ فأنتِ طالق

لكن شاء الله أن تظهر براءتي بعدَ بضعةِ أيام عندما خرج زوجي من العمل قبل وقته المحدد لأول مرة في حياته فقد كان يعاني من صداع شديد دخلَ المنزل بهدوءٍ خشيةَ أن تكونَ أمه نائمة ويوقظها فسمعها تتحدَّثُ على الهاتف مع ابنتها :

وأخيراً استطعتُ أن أجعلَ أخيكِ يُطَلّق زوجته وعادَ الخاتمُ لي بعد أن أهديتيني إياه في اليوم التالي على أنه واحد آخر

لم يستطع أن ينطقَ بكلمة وخرجَ من المنزل يسير بدون أن يدري لأين ستأخذه قدماه وبعد أن هدَأَتْ أعصابه عاد إلى المنزل في المساء كي يواجه أمه واخته بما حصل وعندما سمع صراخ أمه وبكاء أخته فدخل خلسة كي يستمع لكلامهما فسمع أخته تقول :

لقد اشتريتُ لكِ الخاتم بدون علم زوجي من نقود كثيرة كان يدَّخرها في الخزنة وكنتُ قد عرفْتُ كلمة السر بدون أن ينتبه ولم أعتقد أنه سينتبه إلى المبلغ الناقص فهو كثير بالمقارنة مع الموجود لكنه انتبه للمبلغ وقال لي أني سارقة وطلّقني مع أني أخبرته ماذا فعلتُ بالمبلغ الناقص لكنه كان مُصرَّاً على أني سارقة

لم يُكَلمهما بل خرج مهرولاً لمنزل أهلي وعندما فتح أبي الباب انهالت دموعه وهو يرجوه أن يُحادثني ثمَّ أخبره بكل ماحدث وأنه يريدُ أن يُعيدني إليه فقال أبي له ذات الكلام الذي قلته أنا :

حتى لو عُدْتَ نادماً فأنتَ لستَ أهلاً بأن تصونَ بنات الناس لقد شَكَكْتَ بأخلاقها وطلقتها مرةً كانت كفيلة بأن لا تعود إليك البتة فلن تجد ابنتي معك الأمان إطلاقاً والزواج بلا أمان لا داعي للاستمرار به

****

*صديق السوء *

كـانَ شـاباً لـهُ وجهـة نظـرٍ بـالزواج فقـد كـانَ يـراهُ دومـاً كقفـصٍ إنْ دخلـهُ فلـن يسـتطيعَ التحليـقَ خارجـه لـذلك فضَّـلَ أن يحيـا شـبابهُ كطـائرٍ حـر لا يقيّـده ذلـك الـرابط الذي كان واثقاً أنه سَيُقطَعُ بيوم ما

لـم يكـن أحـدٌ يُعَكّـرُ صـفوَهُ إلا أمـه فقـد كانـت تسـتغلُّ أيّ فرصـةٍ كـي تُلِـحَّ عليـه بـالزواج وتطلـبُ دومـاً مـن صـديقهِ الـذي كـان يُـلازِمُ زيـارتهم أكثـرَ مـن أقربـائهم أنْ يُسـاعدها بإقناعه فكانَ يردُّ عليها دوماً بنفس الجملة :

لا تقلقـي يـا أمـي فلـن أدع هـذهِ السـنةَ تنتهـي قبـل أن يكـونَ خاطباً لفتاةٍ ذاتُ جمالٍ ونسب

وما إن ينفرد بالجلوس مع صديقه حتى يقولَ له :

أعانـكَ الله علـى أمـك التـي ترغـبُ أن تـدفِنَكَ وأنـتَ علـى قيـد الحيـاة أيّ زواجٍ يـا أخـي وبإمكانـك إمضـاءُ الوقـت وفِعْلَ ما تُريد مع أيَّ فتاةٍ توقِعُها بحبك؟!

فكانَ يردُّ قائلاً:

وأنا أقول لنفسي ذلك كلما تطلبُ مني أن أتزوج

مضت سنواتٌ ذهبا بها في نهاية كل أسبوع لأماكن السهر وزيارات الأصدقاء وحضور الحفلات وانتهزا أيَّ موقفٍ للتَعَرُّفِ على فتاة وتكرار اللقاءات معها ولكن عندما كانت تفتحُ أيّ فتاة موضوع الزواج كانا يختلقانِ عذراً تافهاً لإنهاء العلاقة بها لحينِ أُصيبَتْ أمه بأزمةٍ قلبية وخضَعَتْ لعمليةٍ جراحية جَعَلَتْ الدم يجمدُ في عروقه خوفاً من فقدانها وعاهَدَها بأنه سَيَتَزَوّج أي فتاة تختارها حينما تتعافى وما إن تعافَتْ حتى طلبَ منها أن تخطب له فتاةً ذات خُلُقْ

انتعشَ قلبُ والدته لطلبه وشعرَتْ بنشاطٍ يُعادل النشاط الذي كان عند شبابها فلم تجعل يوماً واحداً يضيع منها وهي تبحثُ عن عروسٍ لابنها وعندما وجدتها وتأكّدَ بنفسه من سمعتها الحسنة تم القبول والزواج

لم تمضي بضعة أشهر التزم بها بعدم التعرّف على فتيات حتى أتاه صديقه ذات يوم وقال له :

حتى وإن أصبحتَ متزوج فلن تتضرّر إن تعرَّفت بفتاة وتسليّتَ معها كما يحلو لك وزوجتك تصونك في المنزل

فكّر بكلامه كثيراً ثم وافق عليه وقرَّرَ ألا يُشعِرَ زوجته بشيء فلن يحرمها من الكلام المعسول ولا الهدايا وسَيُلبّي لها كل طلباتها

مع تتالي سهراتِهِ أصبَحَتْ زوجتهُ تشعرُ بالضيق فيوم إجازتهِ الوحيد الذي كان يجبُ أن يُمضيهِ معها كانَ يمضيهِ مع صديقه خارجاً ومع أنّ كلمة حبيبتي وعبارات الغزل كان لا يتوقَّفُ عن قولها لكنها كانت تشعرُ أنَّها كلماتٌ تُقالُ من رجل آلي تفتقرُ إلى الإحساس والشعور

حينما بدأَتْ تشعرُ أنَّ كل ما يقوم به من باب الواجب وكل الكلام الذي يقوله محضُ كذب بدأَتْ تراهُ رجلاً منافقاً مخادعاً وانتابها شكٌّ أنَّ الذي يمتلك قدرة كبيرة على خداع أقرب الناس إليه ربما يُغطي بكلماته على خيانة أخرى فأصبَحَتْ تَشُكُّ بكل ما يقول ويفعل ولم تستطع أن تدرَأَ الشَّكَ سوى بمراقبته ولأنها لن

تستطيع اللحاقَ به ليلاً لم تجد أمامها حلاً سوى أن تستعينَ بصديقه الذي يُلازمه بكل السهرات وعندما أتى لزيارتهم كالمعتاد كي يُرافِقَ زوجها للسهر استَغلَّت دخولَ زوجها الحمّام ثم هرولت لصديقه وقالت له :

أرجوك ساعدني فأنا أشعرُ أنّ زوجي يخونني وأريدكَ أن تكشفَ حقيقتهُ لي

اندهشَ صديقه وقال لها : على الرحب و السعة فلن أسمح له بأن يُدمّر بيته لأجل امرأة لا تستحق فلن يجدَ أفضل منكِ زوجة له وأماً لأولاده

ثم أعطاها رقمه وطلب منها محادثته في اليوم التالي عندما تسنحُ لها الفرصة كي يخبرها إن حدَثَ أمر ما اومأَتْ رأسها بالموافقة والإبتسامة تغمر وجهها فقد كانت واثقة أنه سيساعدها كَونَ زوجها وأمه يمدحانه كثيراً بأنه رجلاً ذو أخلاق حسنة ولا يحب الخطأ

اتَّصلَتْ به كما طلب منها فقال لها :

إنَّ شعوركِ صحيح لكن يجبُ أن أقابلكِ بعد ساعة في مطعم بعيدٍ قليلاً عن منزلكم كي لا يرانا أحد وأقصّ لكِ ما حدث

وصلَتْ على الوقت المحدد ووجدَتْهُ بانتظارها وعندما مدَّ يده لمصافحتها تفاجأَ أنها اكتفَتْ بإيماء رأسها ثم أيقنَ حينها بصدق زوجها عندما أخبره أنها لا تُجالسُ رجالاً ولا تُصافحهم فقد كانت تُقَدم له الضيافة بكل مرة وتعود لغرفتها وما إن جلسَت حتى قال لها :

ونحن في طريقنا لمنزل صديقنا اتصل زوجكَ بامرأة وحاولَ أن يتحدَّث بعيداً عني كي لا أسمعَ كلمة مما يقول لكني استطعتُ أن أسمع بضع كلمات فقد قال لها اشتقتُ لكِ ثم عرفتُ بمحضِ الصدفة أنها تلك المرأة هي ذاتها أختُ صديقنا فقد لمحْتُهُ يُمسِكُ يدها وهي تضحك له ثم عاودَت مسك يده باعتقادهما أنَّ لا أحد يراهما لكني أنا كنت أرى كل شيء

انهالت دموعها كزخّات المطر فحاول أن يُمسِكَ يدها كي يُهدِأَ من روعها فسحبتَ يدها وزمجَرَت بوجهه قائلة:

لستُ من النساء اللواتي يستسلمْنَ لأي رجل يَدَّعي مواساتهن ولو لم أكن مضطرة لما جلستُ معك فحديثي معك أكبر ذنب ارتكبته في حياتي

ثم عادت إلى منزلها وتركته مصعوقاً من كلامها فلم يرى امرأة بتلك العِفّة كونه لم يتعرّف إلا على شبيهاته

لم تُخبر أحداً لأنها لا تملك دليلاً عليه فالتزمَت الصمت ولكنها لم تكن تعرف بأنَّ صديق زوجها كان يخطط أن يأتيها بالدليل ولأنه كان على علم مسبق بعلاقة زوجها بأخت صديقهم استغلَّ معرفته بتحركاته ولم يمضي أسبوعان حتى اتصل بها وأخبرها أن تأتي برفقة أم زوجها كي يَريَانه جالساً معها انطلقَتا كالبرق لنفس المطعم الذي رأته به فرأت زوجها ملاصقاً لتلك المرأة ثم قبَّل يديها وأمسكهما وهما يمعنان النظر بعينَي بعضهما وكأنَّ لا أحد في المكان سواهما وعندما رأت أمه ذلك المشهد وقعت أرضاً فانتبه لوجود زوجته وأمه وما إن رآها ملقاة على الأرض حتى هرول إليها ثم نقلها إلى المشفى مع زوجته

توفيّت أمه بأزمة قلبية نتيجة الصدمة والحزن الذي شعرَت به فقد أيقَنَت أنها ستخسر زوجة ابنها لأنها كانت تعتبرها أكثر من ابنة لها .

لم يكتفي صديقه بذلك بل أرسل لزوجته بضعة صور له مع تلك المرأة ومقطع فيديو مع امرأة أخرى كي تستخدمها ضده في قضية الطلاق وما إنْ تمَّ الطلاق وأنهَت شهورَ عِدَّتها حتى ذهب صديقه لخطبتها وتأليفِ كذبة بأنه هو صاحب الخُلُق الذي كان يحاول ردع طليقها في كل خطأ يقوم به

وافقت على الارتباط به وتمّ الزواج لكنه كانَ قد عَرِفَ النعمة التي خسرها صديقه وقرّر أن يُحافظ عليها وأنهى كل علاقاته السابقة وأصبحَ لا يضيعُ يوماً بدون أن يمضيه مع زوجته التي عشقها عشقاً جعلها تعشقه أضعافاً وبَقِيَ صديقه السابق وحيداً مكتئباً من كل الصدمات المتتالية التي تعرَّض لها

انتهت

****

* النصيب*

عنـدما أصـبحتُ شـابة ظهـر بحيـاتي ابـن جيراننـا أراه فجـأة عنـدَ ذهـابي وإيـابي وكـأنّ لا عمـل لديـه سـوى انتظاري لحين أقبلَ نحوي وقال :

أنا معجبٌ بك

كانت هذه أول كلمة أسمعها من شاب فقلت له بعفويّة:

شكراً لك

نظر لي نظرات لم أفهمها ثم قال :

هذا الذي استطعتي قوله ؟!

مـاذا كنـتَ تنتظـر أن أردَّ عليـك ؟ أن أقـول لـك وأنـا أيضاً؟

نظـر لـي بعينـين ضـاحكتين نظـرة لـم أفهمهـا حينهـا ولـم تمضـي بضـعة أيـامٍ حتـى اتّصـلَتْ أمـه بـأمي تطلـبُ زيارتنـا رحَبَّـتْ بهـا واعتَقَـدَتْها زيـارةَ جيـرانٍ عاديـة لكـن ما إن دخلْتُ وقدّمتُ القهوة حتى قالَت أمه:

اجلسي بجانبي

ثم نظرَتْ إلى أمي وأردَفَت:

أودَّ أن أطلب يدَ ابنتكِ لابني

نظرت أمي والدهشةُ تعلو وجهها ولم تردّ بالرفض أو بالموافقة فقد قالت:

سأسأل أبيها عند عودته من العمل

ثم طلبَت مني الذهاب لغرفتي فحلَّقْتُ كعصفورة سعيدة وكأني كنتُ على علاقةِ حُب به وتحقَّقَتْ أمنيتي بتقدُّمه للزواج مني وفَهِمْتُ حينها أنّ ردي عليه قد فَهِمَهُ بأني معجبةٌ به ومع أني لست كذلك لكني أيقنتُ حينها أنّ ذلك الموقف قد حصل ليجعلَهُ من نصيبي وأعيشَ معه الحب الذي لم يخطر ببالي أني قد أمرّ به في ذلك الوقت خاصة أني ضَمِنتُ حب الطرف الآخر لي ولن أحيا في ألم الحب من طرف واحد

عند عودة أبي صَوَّرَ الزواج لي كوحش سيلتهم حياتي ومستقبلي ثم بدأ بسرد عيوبه كونه ليسَ متعلّماً ووضعه المادي أقلَّ من وضعنا لكني وافقت

لـم أقتَنـع بكلامـه كـوني أعـرفُ قصـص زواج ناجحـة غيـر أنـي لـم أكـن أملـكُ سـوى الشـهادة الثانويـة حينهـا ووضـعنا المـادي لـيس فـي العلالـي كمـا يقولـون فلـم أرى نفسـي أعلـى منـه بشـيء ومـن حينهـا تغيَّـرَت نظرتـي للحيـاة وحياتي

اشـترطَ أبـي ألا تقـلَّ مـدة الخطوبـة عـن سـنة كـي أفهَمَـهُ ولا أطلـبَ الطَّـلاق بعـد مـدة قصـيرة كـون الطـلاق عنـد أبي مُحرَّم

مـا إنْ تبادلنـا أرقامنـا حتـى أرسـلَ لـي رسـالة بهـا أبيـات شِـعْرٍعن الحـب أصـابَتْ قلبـي مباشـرةً ومنـذ ذلـك الحـين كلمـا رأيتُـهُ شـعرتُ وكـأنَّ قلبـي يـرتعش وبكـل مـرة يزورنـا لـم أكـن أشـعر بالوقـت كيـف يمضـي فقـد أُعجِبْـتُ بكـل تفاصـيله مهمـا كانـت صـغيرة وبكـل حركـةٍ يقـومُ بهـا غيـر ضـحكاته وابتسـاماته التـي تجعلنـي أنظـر إليـه بتأمـل وملامحـه التـي لا تُفـارِق خيـالي بعـدَ ذهابـه فأدرَكْـتُ حينها أنني أحببتُه

مضى شهر أرسل لي بشكل يومي رسائل حب متتالية صباحاً ومساء ولم أكن أردُّ سوى بالتحية لحين أرسل لي رسالة كتب بها :

أنا أحبكِ هل تحبيني ؟! جاوبي بنعم أو لا إن أردتِ

شعرتُ وكأنَّ قلبي سيخرجُ من أضلعي لدقائق ثم أرسلتُ له بنعم وفي اليوم التالي بدأتُ بإرسال أبيات شعر بعد أن أعلنتُ حبي

بدأت المشاكل عندما أخبرته أني سأسجل بالجامعة فقد استمرّ رفضه لفكرة دراستي وخيّرني بينه وبينها مراراً وتكراراً وبكل مرة أرد:

أريدكَ أنتَ والدراسة وسأكملُ بعد الزواج

سجَّلْتُ بالجامعة قبل إغلاق باب التسجيل بيوم واحد وبكل أسبوع يمضي كانت تزداد المشاكل التي يفتعلها لدرجة أني لم أستطع حفظها ولا عدَّها لحين أعلنتُ استسلامي وفسخْتُ الخطوبة باعتقادي أنه سيعودُ لي بعد موافقته على تكملة دراستي بسلام

لـم يمضـي شـهر حتـى خطـبَ فتـاة أخـرى شَـعَرْتُ وكـأنّي دُفِنْـتُ بيـوم خطوبتـه عشـتُ أزمـة نفسـية شـديدة وكلمـا رأيتـه صـدفة كنـت أدخـل فـي نوبـة بكـاء وهـو دومـاً يتجنّـب النظر إلي بعدَ أن حظَرَ رقمي

تراجـع تحصـيلي العلمـي وأنـا لـم أكمـل سـنتي الأولـى ولأنـي كنـتُ علـى أبـواب الامتحانـات رسـبت فـازداد تعبـي ولـم يجـد والـدايَ حـلاً سـوى خطبتـي السـريعة لشـاب آخـر باعتقادهمـا أنـه سَيُنسـيني ابـن جيراننـا كونـه أولّ شاب في حياتي.

كـان العـريس ابـن عمـي المغتـرب تعارفنـا علـى الانترنـت كونـه قـد اغتـرب وأنـا صـغيرة شـعرتُ وكـأني أُعجِبـتُ بطريقة تفكيره

عَـرَضَ علـيّ أنْ نتـزوّج قبـل أن أنهـي دراسـتي وأُكملُهـا بالبلـد التـي يعـيش بهـا فوافقـت علـى الفـور كـي لا أرى خطيبـي مـرة أخـرى غيـر أنـي اعتَقَـدْتُ أنـي سـأحبه بعـد الزواج

سافرتُ إليه لكني أُصِبْتُ بصدمة نفسية أكبر فلم أراه على أرض الواقع نفس الرجل الذي شعرتُ أنه هو على الانترنت ولم تمضي بضعة أشهر حتى استرجعتُ أحاسيسي مع خطيبي ،لدرجة أني بتُّ أحلم به ليلاً وأتخيّلهُ نهاراً مما جعلني أفتعل المشاكل وأطلب الطلاق لكنه رفض بشكل كلي خاصة بعد أن وافقه أبي بالرأي فلن يُرجِعَ ابنة عمه مُطَلّقة بعد بضعة أشهر كي لا تكون سيرته على كل لسان فطلب مني أن أعتاد على الحياة معه بعدَ أنْ رفض أن أُكمِلَ دراستي بسبب المشاكل التي أصبحَت تشتعل من كِلَيْنا

قَضَيتُ بضع سنين وأنا أحاول حتّى أن أتقَبّله لكنه لم يكُن يقوم بأي شيء لمساعدتي كونه قد صُدِمَ بالبلوى التي بلاه عمه بها كما أصبحَ يُناديني

أنجبتُ ولداً لعلّه يُنسيني آلامي لكنّه زاد همومي وعذابي وعشتُ سنيناً أخرى وأنا أحاول أن أعتاد على الحزن.

****

* على نيّاتكم تُرزَقون*

كان هنالك رجل علّق كل آماله على تجارة اعتقد أنها رابحة ووضع بها كل ما ادّخره طيلة شبابه لكن شاء القدر أن يخيب ظنه وتخسر تجارته مما جعله يصبح رجلاً لو تجسّد التشاؤم بهيئة إنسان لأخذ شكله وأصبحت نظرته قاتمة السواد للحياة لكن الأسوأ من ذلك أنّ سوداويته قد طالت محيطه مما جعل أقرب المقربين إليه ينسحبون من حياته إلا زوجته فقد بقيَت جانبه تحمّلت كل البؤس الذي تملّكَ حياتها لعلها تجتاز تلك المحنةَ برفقته حاولت جاهدة أن تخلق من كل المواقف الكئيبة نكتاً مضحكة حتى لو بَدَت سخيفة لأنها كانت ترجو دوماً أن ترى لو ابتسامة واحدة له لعلها تسحب وراءها بسمات متتالية إلى أن استطاعت مرةً أن ترسم البسمة على وجهه وتوحي بفكرة إليه بآن واحد فبينما وهما جالسان تذكّرت قصة قريبها التي حصلت منذ زمن بعيد فأخبرته بها لعلها تنتشله من كآبته :

أذكرُ أنّ أبي قد قَصَّ علينا قصة ابن عمه فقد كان دائم الحديث مع زوجته بأنّ أجمل شعور يعيشه الرجل في حياته عندما تتشاجر زوجاته لأجله حتى لو كانَتَا اثنتين فذلك أفضل من أن تتشاجر واحدة معه

فنظر لها مُتَلهفاً وارتسمَتْ آثار بسمة على وجهه:

وماذا كانت تقول له ؟

أكملَتْ بسعادة لرؤية ملامحه بعكس قول تلك الزوجة:

إنْ كنتَ تريد تجربة ذلك الشعور فأنا سأُضحي بسعادتي لأجلك

فسألها بلهفة :

أكملي هل تزوّج؟!

ذَهَبَتْ بذاتها وخطبت له امرأة أخرى ثم تزوجها وعاشتا كالقطط في خناقٍ دائم للفوز به وكأنه قطعة لحم

لم يُدلي بكلمة ثمّ انسحب إلى النوم وهي تتذكر تكملة القصة الحقيقية بأنّ كلما قال لها تلك الكلمات كانت تغضب بمنزل أهلها شهراً

في اليوم التالي عند تناول الغداء قال لها :

أنـا أعلـم أنـكِ تُحبيّنـي واحتَملتـي كـل اكتئـابي ومزاجـي السـيء كـل تلـك الشـهور وأنـا علـى يقـين أنـكِ تـودّين لـو أنـي أعـود كمـا كنـتُ سـابقاً لكنـي أريـد تغييـر شـيء بحياتي أو أن أُضيفَ شيئاً آخر يضيف السعادة معه

نظرتْ له وبداخلها شعور حاولَتْ تكذيبه :

ما الذي تودّ قوله ؟!

قطعـة الأرض التـي ورثتيهـا عـن أبيـك هـل يمكنـك بيعهـا وإعطائي ثمنها ؟!

فاحتدّت قائلة :

أنهي حديثك بسرعة ولماذا كل تلك المقدمات ؟!

أريـدُ أن أتشـارك مـع صـديقٍ لـي بمحـل مـواد غذائيـة علـى مستوى عـالي كـي أجنـي نقـوداً تُعوّضـنا عـن النقـود التـي خسرناها

انفرجـت أسـاريرها بعـدما سَـمِعَت ذلـك الكـلام ووافقـت بكل سرور

أخـذَ ثمـن الأرض وثمـن بضـع قطـع مـن الـذهب كانـت محتفظـة بهـا ذكـرى مـن أمهـا ومضَـت بضـع أشـهر كانـت كلمـا سـألَتْه عـن تطـورات العمـل أجـاب بـنحن فـي طَـور التأسـيس لحـين اكتمـل مشـروعه الـذي كـان يؤسسـه برأسه ودخل للمنزل كي يخبرها به :

أعتـرفُ أنـكِ امـرأة أصـيلة ولا عيـوب تـذكر فيـكِ لكنـي أقسـمُ أنـي حاولْـتُ جاهـداً أن أحبـك ولـم أسـتطع تزوجتُـكِ لأنّ وضـعك المـادي كـان مجـاوراً لوضـعي ولـم أسـتطع الـزواج مـن الفتـاة التـي أحببتهـا لأجـل النقـود فكرّسـتُ حيـاتي أن أجنـي المـال لأتـزوج امـرأة أسـتطيع أن أحيـا شـعور الحـب معهـا لكنـي خسـرتُ كـل شـيء وأنـا أعلـم أنّ قطعـة الأرض والـذهب هـي كـل مـا تملكـين لـذلك لـن أتخلّـى عنـكِ وستعيشـين معنـا فـي بيـت واحـد وكـأنّ لا شيء قد حصل لأني قد تزوجت

كانـت تلـك الصـدمة أكبـر مـن صـدمة وفـاة والـديها والتزمَـت الصـمت والـدموع تنهمـر علـى وجنتيهـا وهـو ينظر لها بشفقة لكنّ ما بداخله كان أكبر من شفقته

مسحت دموعها وقالت:

حتّى لو اضطُرِرْتُ للنوم عند أقاربي وأكل الخبز والزيت لن أُكمل حياتي معك أريد الطلاق

ثم انسحَبَت إلى منزل ابن عمّها الذي كانت تعتقده كأخيها

رحّب ابن عمها بها ولم يُشعِرها بالضيق على الرغم من شجار زوجته معه فمنذ أول يوم قالت له:

وما الذي يُجبِرُكَ بها اطلب منها العودة لمنزل زوجها فليست أول امرأة تزوّج زوجها عليها ولا الأخيرة فلا معيل لديها ولا منزل ولا حتى وارد مادي

حاول جاهداً إسكاتَها لئلا تسمع ابنة عمه لكن زوجته لم تكتفي بالحديثِ بل خرجت لابنة عمه فقالت لها:

هذا جزاء ما اقترفتي لقد رفضتي ابن عمك الذي كان يحبك وكما جرحتيه قد ابتلاك الله بزوج جرحك فعدتي إلى ابن عمك كي تعيدي وصاله وتكوني زوجة ثانية له؟ اخرجي من منزلي

لم ترى أمامها بعد الكفّ الذي ضربها إياه زوجها فهرولت إلى غرفتها لتأخذَ أغراضها وترحل كي لا

تستطيع ابنة عمه الجلوس معه بالمنزل لكنه لم يسمح لها بالرحيل فاتصل ببنات أخته كي يأتين ويَجلِسنَ معهما

اعتذرَت له وتمنّت لو تستطيع الذهاب لابنة عمها لكن زوجها كان مشهوراً بنظراته الغير بريئة تجاه النساء فلم ترغب أن تصيب ابنة عمها بالضيق بسببها

لم تستطع النوم بتلك الليلة فقد عاد الزمن بها عندما سألها ابن عمها :

هل تتزوجيني؟!

ضحكت من قلبها واعتَقَدَت كلامه مزاحاً فقالت له :

أهذا مقلب جديد ؟ لا أوافق طبعاً فأعلم أنك أخي

قالت ذلك لأنه كان مشهوراً بمزاحه بأي موقف لا يستدعي المزاح أصلاً وهو أمضى الليل حزيناً نادماً على اللحظة التي أخبر زوجته بلحظة غضب بالموقف الذي حصل بينه وبين ابنة عمه فقد قال لها:

كم أشعر بالندم لأني لم أخبر ابنة عمي بحبي لها فلا أحد كان يفهمني سواها لكني اعتبرتُ ردّها أنها لا تحبني ولم ترغب بكسر خاطري فقلتُ لها بالطبع مقلب

في اليوم التالي اتصل ابن عمها بزوجها وأخبره أنّ زوجته قد باتت الليل بمنزله فرد الزوج قائلاً:

أنا لم أطلب منها الرحيل ولم أطلقها فإن أرادت الرجوع فأهلاً بها وإن أرادت الطلاق على الرحب و السعة وعندما أستطيع جمع النقود ثمن ذهبها وأرضها سأعيدها لها

أخبرَ ابنة عمه بردّ زوجها وأعطاها مهلة ثلاثة أيام للتفكير قبل الرد عليه بإصرارها على الطلاق وبعد مضي الأيام اتصل به وقال :

زوجتك مُصرّة على الطلاق

كما تشاء وإن تركتها تعيش بقية حياتها عندك لا مانع إطلاقاً فأنا أعلم أنها كأختك

ردّ محتداً :

لا شأنَ لك أين ستعيش حياتها

تـم الطـلاق فـأخبر ابـن عمهـا زوجتـه بـذلك وطلـب منهـا أن تعـود إلـى المنـزل فلـن يرمـي ابنـة عمـه بالشـارع وأنهـا ستُمضـي ثـلاث أشـهر عنـده وثـلاث أشـهر عنـد ابـن خالهـا فـي المدينـة المجـاورة إلـى أن يتَقـدَّم عـريس يسـتحقها وتوافـق عليـه لكـن زوجتـه رفضَـت الرجـوع وأعطتـه مهلـة للتفكيـر بـأن يختـار بينـه وبينهـا لكنـه لـم يأخذ مهلة وردّ بنفس اللحظة :

أختارها طبعاً

تـمّ طلاقـه أيضـاً وأمضَـتْ ابنـة عمـه وقتهـا بـين منزلـه ومنزل أخته عند غياب زوجها

بعـد مضـي بضـعة أشـهر قـرّر أنْ يعـرض الـزواج عليهـا فقـد رأى أنّ طلاقهـا وطلاقـه كانـا لأجـل زواجهمـا فقـد كانـت حياتـه بالأصـل جحيمـاً مـع زوجـة لا تفهمـه ولا يحبها

فقال لها عند عودته من العمل :

هـل تتزوجينـي ؟ لكـن هـذه المـرة كلامـي لـيس مزاحـاً فقـد كبـرتُ على المقالـب فأنـا يـا ابنـة العـم أرغـبُ بـكِ مـن قلبـي

وليشـــهد الله أنـــي أحبـــك و أنـــي ســـأجعلك تعيشـــينَ معـــي حيـــاة كريمـــة وخـــذي مهلـــة للتفكيـــر وإن لـــم ترغبـــي بـــي فلـــي صـــديقٌ يبحـــثُ عـــن امـــرأة للـــزواج بعـــد وفـــاة زوجتـــه إن رغبتي سأطلب منه التقدّم لخطبتك

شـــعرَت أن قلبهـــا ســـيخرج مـــن بـــين أضـــلعها فوافقـــت بـــنفس اللحظـــة وقبـــل أن يـــتم الـــزواج ســـجّل باســـمها قطعـــة أرض كـــان قـــد ورثهـــا عـــن أبيـــه كمـــا وَرِثَـــتْ واشـــترى لهـــا ذهبـــاً أكثـــر مـــن الـــذي باعَتـــه وعاشَـــت معـــه حيـــاة يملؤهـــا الحـــب والتفـــاهم أمـــا طليقهـــا كـــان قـــد تشـــارك ببقيـــةِ نقـــود طليقتـــه مـــع أخ زوجتـــه ولـــم يعلـــم أنـــه كـــان يُخطّـــط للنصـــب عليـــه بالإضـــافة للنصـــب علـــى غيـــره والســـفرمما جعلـــه يشـــعر بـــالكره والبغضـــاء تجـــاه زوجتـــه واعتبرهـــا شـــريكة لأخيهـــا بعمليـــة النصـــب فأصـــبَحَ يُعاملهـــا بســـوء ويُهينهـــا علـــى أتفـــه الأمـــور فطلَّقـــت نفســـها منـــه وعنـــدما اعتصـــر النـــدم فـــؤاده تحسّـــر علـــى زوجتـــه التـــي خســـرها فعـــاد إلـــى منـــزل ابـــن عمهـــا كـــي يُعيـــدها إليـــه كونـــه كـــان علـــى يقـــين بأنها تحبه ولن تتزوج سواه

طَـرَقَ البـاب بوقـتٍ كانـت مستعدة بـه للـذهاب مـع زوجهـا لتنـاول الغـداء ففتحـت البـاب علـى الفـور وصُـعِقَت عنـدما رأته أمامها ينظر إليها بعينين متوسّلتَين:

هل تعودي إلي ؟!

ردَّتْ على الفور:

لقد تزوجْتُ ابن عمي فنده ابن عمها لها:

حبيبتي من الطارق؟

كـادت جفـون طليقهـا أنْ تتمـزّق ممـا سـمع فقالـت لابـن عمها :

حبيبي فلتأتي إنه طليقي

أتى إليها بلمح البصر :

ماذا تريد ؟!

فانفجر بوجهه غاضباً:

كنـت أريـدُ اسـتعادة زوجتـي أيهـا المـاكر وأنـتِ يـا لـك مـن خائنة قد طلبتِ الطلاق لتتزوجي ابن عمك؟

تلّقى لكمةً من ابن عمها جعلَتْهُ يطيرُ إلى الوراء ويسقط أرضاً ثم حذّره ألا يَلمَحه في المدينة كلها كي لا يُبرحه ضرباً فعاد إلى منزله مكسوراً وأمضى بقية حياته وحيداً بعد أن خَسِرَ كل نقوده .

انتهت

****

الجزاء من جنس العمل

كـان يمتلـكُ كـل شـيء إلاّ أن يُصـبح أبـاً ومـع نـدرة مَـن يُصـارحون النـاس بـذلك لكنـه كـان متصـالحاً مـع الأمـر لا يـرى داعٍ للكـذب فقـد خَطَـبَ فتـاةً تلـو الأخـرى وذَكـرَ وضـعه الصـحي إلاّ أنـه جوبِـهَ بـالرفض مـن جمـيعهن لحـينِ أخبرتـه أختـه أن يتقـدّم لخطبـة ابنـة جيرانهـا ولـن تـرفض الارتبـاط بـه فأخلاقهـا العاليـة وصـفاتها المثاليـة جعَلَتْ منها فتاة ذات روح وقلب طيب

تصـوَّرها تلـك الفتـاة الملائكيـة التـي سـتحيا معـه عمـراً بـدون مُنَغّصـات ولـن تُعيّـره بلـك الـنقص فكـان تصـورّه صـائباً ، فقـد عاشـت معـه بضـعة أشـهر لـم تفـتح فمهـا بكلمـة لحـين قـرّرت أن تعـود لتكملـة دراسـتها فوضـعه المـادي كـان يسـمح لـه بـدفع مصـاريفها لكنـه رفـض طلبهـا قائلاً:

لم نتفق على موضوع الدراسة فلم تخبريني قط بذلك

فردَّت محتدّة :

وإن يكن فالموضوع لم يكن ببالي من قبل لكنه موجود الآن

أنا أريد زوجةً لا يُشغلها شيء عني وعن بيتي

إذاً أعطني ولداً أنشغل به

كانت تلك الجملة كصاعقة ضربَتْ رأسه لكنه صمت لبرهة وتنفَّس الصعداء ثم قال:

لكِ ما تريدين

نجحَتْ بالشهادة الثانوية لكنْ لم تستطع تحقيقَ حلمها بالدخول لكلية الصيدلة فطلبَت منه أن يُدخلها جامعة خاصة لم يُعارض الأمر فقد اعتقد أنها حماسةٌ منها للحصول على الشهادة وحالما تأخذ اسم الصيدلانية ستجلس في المنزل

كانت سنوات الدراسة عليها من أجمل سنين حياتها فقد تحقَّق حلمها بعد أن أصبح مستحيلاً بسبب وضع عائلتها المادي أمّا هو فقد مضَت تلك السنوات عليه بمرار العلقم فقد كان تعييرها له بعدم الإنجاب صادماً مما جعله يشعر بالنفور الدائم منها

تخرَّجَت من الجامعة وفي الاحتفال الذي حضّرته ودعت إليه الأهل والأصدقاء بدون علمه قالت له أمام كل الحضور:

هذا احتفال نجاحي وبعد فترة سأقيم احتفال افتتاح صيدَليّتي أليسَ كذلك حبيبي ؟

كانت تلك الجملة وكأنها صفعة على وجهه أمام الناس فابتسم لها بإكراه وأومأ رأسه بالموافقة وما إن ذهب الضيوف حتى تطايرت الصحون والكاسات كالقذائف الزجاجية وارتفع صراخه وهو يقول:

أتَضَعيني تحت الأمر ما هذا الاستفزاز الذي تقومين به تريدين العمل وأنا لست موافق

ردَّت بكل برود :

أعطني ولداً كي يُشغلني ولا أعمل

ازداد غليان دمه من الغضب ومن شعور القهر الذي انتَابَه نظرَ لها وهو مقطّب الجبين بعينان اغرَورَقَتا بالدموع :

هل لديكِ طلبات أخرى ؟! لا

على الرّغم من تحريض أخته له على تطليقها منذ قرارها بالدراسة لكنه رفض ذلك فكيفَ سيغدر بالامرأة الوحيدة التي تغاضَت عن نقصه وقَبِلَت بالزواج به

بعد مدة تمَّ تجهيز الصيدليَّة وأقامَت حفل افتتاح لها ومضَتْ سنتين كانتا أجمل من سنوات دراستها لكنها لم تكن تعلم ماذا كان يُخبئ القدَر لها

منذُ أوَّلِ يومٍ لها في العمل فكَّرَتْ بطريقةٍ تستطيع بها أن تجني أكبر قَدَر من النقود وبالوقت ذاته لا تتقاعس عن واجباتها المنزلية كي لا تفتح مجالاً لزوجها أن يُكّلمها عن ترك العمل إلى أنْ تُجاريه مادياً فتفتعلْ مشكلة تأخذ على إثرِها الطلاق كي تتزوّج رجلاً يمتلك القدرة على الإنجاب ولا تقلّ إمكانياته المادية عنه كَوْنَ حياتها أصبحت كاملة بعد معاناة طويلة ولا ينقصها سوى الإنجاب

لم ترى أمامها طريقةً بحكم عملها سوى أن تبيع الأدوية المخدرة التي لا يُسمح ببيعها إلا بوصفة طبية لأي شخص يطلبها ولكن بسعر خيالي

شاء القدر أن تقرر الجهات المختصة آنذاك أن تقوم بحملات تفتيشية لكل الصيدليات لرصد المجاوزات ولكن الحملات كانت عبارة عن فخ ، يتردد رجلاً بشكل يومي يطلب دواء مخدّراً كالذي يُعطى لمرضى السرطان في المراحل المتقدمة لتسكين ألمهم الذي لا يُطاق

تـرَدَّدَت أول المرات في إعطاءه الدواء كونه جديد لكنها وافقت بعد أن رأته شبه الرجال المُتعاطين الذين يقصدونها دوماً مما جعل الأمن يداهمها بلحظتها ويعتقلها على الفور

ما إن تمَّ زجّها بالسجن و قبل أن يُسمح لها بالاتصال بزوجها انهارت من البكاء من الصدمة وتعرَّضت على إثرها لنزف، نُقِلت إلى المشفى فتبيَّن بعد الفحص أنها أجهضت جنينها وتمَّ الاتصال بزوجها على الفورأسرع إليها وما إن قابله الطبيب حتى قال له:

للأسف لم نستطع إنقاذ الجنين

سقطَ أرضاً وكأنّه أُصيب بالشلل المُفاجئ حاول الطبيب تهدئته قائلاً:

لا عليك فأنتما بسنّ الإنجاب ستنجبون غيره بعد أن تخرج زوجتك من السجن

اتَّسَعت حدقتا عينيه فقال له مذعوراً:

سجن؟!

أشار الطبيب إلى الظابط المسؤول عنها فهرول إليه والدموع تغمر عينيه فقصَّ له تهمة زوجته رأفة بحاله ثم أخبره بأنَّها حال تحسنها سيتم نقلها إلى السجن مرة أخرى.

أدار ظهره وعاد أدراجه إلى المنزل ثم اتصل بأخته يرجوها زيارته كي تسانده بمصابه

بتلك الأثناء وحالما استعادت قواها أعادوا نقلها إلى السجن وهي تبكي بحرقة وتطلب منهم أن يسمحوا لها بالاتصال بزوجها فقال لها الظابط :

لقد أتى زوجك وأخبرناه بكل ما حدث لكنه ذهب على الفور

فانهالت دموعها بغزارة وهي تقول بقرارة نفسها:

لقد عاقبني الله هذا جزاء ما اقترفت يداي

ما إن دخلت أخته حتى قصَّ لها ما حدث فأصبحت تلطم على وجهها وهي تقول :

يا لهذه الفضيحة ! أدوية غير مرخصة للبيع وخيانة

كانت كلمة الخيانة كالصاعقة التي ضربت رأسه فقال لأخته:

أغلقي فمك أيُّ خيانة ؟! إنها ابنة أناس محترمين وحتى لو سوَّلَت لها نفسها بالطمع لكن طوال تلك السنوات لم تكن تفكر إلا بدراستها وشهادتها

لم تقتنع أخته بل أصرَّت أنْ تأخذه إلى الطبيب للتأكّد من وضعه قائلة:

التي تخون عملها لن تشكّل خيانة زوجها فارقاً لديها

داهمه الشّك لحظات فوافق على الذهاب معها فكانت نتائج التحاليل صادمة لهما لم يعرف ما كان يجب عليه أن يشعر هل يفرح كونه يستطيع الإنجاب أم يحزن لخسارة ابنه فقال في قرارة نفسه:

يـاترى هـل التحاليـل الأولـى خاطئـة ؟ أم أن معجـزة قـد حصـلَت؟ أم أنَّ خرافـات العـلاج الطبيعـي الـذي كانـت تعطيني إياه أختي قد تحقَّقَت ؟

قاطعت أخته كل أفكاره بصوت يضحك قائلة:

هـل رأيـت العـلاج الطبيعـي كيـف آتـى بثمـاره يجـب أن تسـمع كلامـي مـن الآن فصـاعداً اذهـب وطلِّـق زوجتـك واجعلهـا تـتعفّن فـي السـجن وتـزوَّج بعـدها فكـل البيـوت ستفتح لك أبوابها

لـم يـردّ بكلمـة وقـرَّر أن يـزور زوجتـه فـي اليـوم التـالي لسؤالها عن سبب قيامها بانتهاك قوانين عملها

توقَّعـت أن تكـون صـراحتها سـبباً بمسـامحته لهـا لكـن عنـدما أخبرتـه بالسـبب الحقيقـي كـان ردّهـا كالصـفعات المتتالية فقال لها :

سأُعْلِمُ أهلكِ بأنكِ في السجن وانتظري ورقة طلاقك

انهـارت مـن البكـاء وهـي ترجـوه أن يسـامحها لكنـه لـم يكتـرث لهـا ولـم يمضـي شـهر واحـد حتـى طلَّقهـا وأرسـل الورقة إليها مع عائلتها

تـزوّج فتـاة كانـت صـادقة بأخلاقهـا الحسـنة فلـم تكـن ترغـب إلا برجـل قـادر علـى أن يصـونها ويـؤمن حيـاة كريمـة لهـا عـاش معهـا بضـعة أشـهر كانـت مـن أجمـل شـهور حياتـه لحـين اكتملـت سـعادته عنـدما قالـت لـه بعينين ضاحكتين:

أنا حامل

حلَّـق فـؤاده فرحـاً ثـم احتَضَـنَها وقبَّـلَ جبينهـا والسـعادة تغمركيانـه بـأنَّ ابنـه الـذي سيسـتقبل الحيـاة بعـد بضـعة أشهرسـيأتي مـن امـرأة خلوقـة تسـتحق كـل الحـب والاحتـرام والمعاملـة الحسـنة ولأنَّ حلمـه الوحيـد قـد تحقـق قـرر أن يُسـاعد طليقتـه بـدفع المبلـغ المـالي عنهـا لأجـل أهلهـا الـذين لا ذنـب لهـم فتحريرهـا مـن السـجن بعـد أن تـمَّ سـحب شـهادة الصـيدلة منهـا كـان متوقّفـاً علـى دفعهـا النقـود فـي حـين أمضـى حياتـه بسـعادة ونَسـيَها كأنهـا لـم تكـن بحياتـه يومـاً أمضَـتْ حياتهـا بنـدم وحسـرة بعـد أن خَسِـرَت مـن أفعالهـا ونيَّتهـا السـيئة رجـلاً بكـل معنـى الكلمة

****

*قصة وعبرة *

سَمِعَت ذات مرة زوجها يحادث نفسه :

لو أمكنني أن أُغَيّرَ التي بلاني أبي بها

فحركت تلك الكلمات بداخلها بركاناً من الغضب أطفأه بحر من الحزن عندما تذكرت الفجوة التي بينهما فابتلعت ألمها لأنه الرجل المثقف خريج الجامعة وهي المرأة التي بالكاد تفك الكلمات فهيهات بينه وبينها لكن أباه كونه قد تكفَّلَ بمصاريف جامعته وساعده لفتح مكتبه الهندسي الخاص قد اشترط عليه الزواج بفتاة ليست من بنات الجامعات كونهن يُصادقن شباباً تحت مُسمّى الزمالة لتتطور لصداقة وخروجات وربما سهرات فكان أباه لا يحتمل فكرة أنْ تكون زوجة ابنه قد خرجت مع صديقها لتناول الغداء يوماً ما ولكي يدرأ الشكوك زوجّه ابنة عمه وهي في عمر الورود

وبعد مضي سنوات قليلة أصبحَ اسمه يلمع في عالم العمارة ويُدعى على مناسبات الطبقة الراقية فبدأ

يشعر بالخجل من اصطحاب زوجته معه خشية أن تُسأَلَ شيئاً لا تعرف كيف ترد عليه فتعرَّف على امرأة جامعية صادفها بمناسبة دُعِيَ عليها وقد كانت كموسوعةٍ علميةٍ متنقلة وبعد أن تبادلا أطراف الحديث، ودعاها لمكتبه تتالت اللقاءات وقرر الزواج بها ووافقت أن تكون زوجة ثانية بعد أن شرح لها السبب لكن بعدما صارح أبيه بقراره انفجر بوجهه غاضباً وقرر أن يحرمه من الميراث فلم يأبه لذلك بل ترك زوجته بمنزل أبيه دون أن يطلقها ومضت سنتين بدون أن يسأل عنها وهولا يعلم ما كان يُخبئُ له القدر

قصة وعبرة (التكملة)

بكل شهر كان يمضي من زواجه الثاني كان يزدادُ تعلقاً بها لعلمها وذكائها الذي يسطعُ من عينيها غيرَ أنها باتت معروفةً ومحبوبةً عند نساءِ الطبقة الراقية وأصبح يتباهى بها أكثر من تباهيه بعمله لكنها لم تكترث للمظاهر فقد كان همها الوحيد أن تنجب طفلاً وبعد أن فاض بها الحال لمرور سنتين لم تَحمِل بهما أَصَرَّتْ أن تزور أطباء كي تطمئن على حالها وبرغم من محاولاته تهدئتها بأنَّ حملها عندما يُقَدَّر سيحصلُ بوقته لكنها رفضت

وقبل يوم من ذهابها عاد بها الزمن عندما سألته عن سبب مرور سنين من زواجه الأول وعدم حمل زوجته فأخبرها أنه برغم حبه للأطفال لكنه لا يريدها أن تُصبِحَ أماً لأطفاله فقد كان يجول بداخله دوماً الزواج بأخرى

زارَتْ عدة أطباء أكدوا أن لا مانع من حملها فطلبت منه أن يزور الطبيب للاطمئنان فرفض رفضاً قاطعاً في البداية لكنها حين هدَّدَتْهُ أنها ستترك المنزل قُبيل دعوة هامة دُعيا إليها رضَخَ لكلامها ومن زيارةٍ لأول طبيب أكَّدَ لهما أنَّه من المستحيل أن يصبح أب فاشتعلت نيران الغضب داخلها فقد أكّد ذلك شكوكها عندما شعرت أنه على علم مسبق بانعدام فرص حملها بسبب لامبالاته غير أنها كانت تشعرُ بتوتره عندما تقول له سنزور الأطباء للاطمئنان على وضع كلينا مما جعلها تترك المنزل وتطلب الطلاق فأصبحَ يتَخبَّط كالمجنون من تصرفها وشاء القدر بذات الوقت أنه كان قائماً على تصميم مزرعة فريدة على شكل قصرٍ لرجل أعمال مهم مما جعله يرتكبُ خطأً فادحاً لم يدرِكهُ إلا بعد أن انتهوا من البناء فلاقى سَخَطَ المالكِ وكل من رآها مما جعلهم يقطعون التعامل معه وتدريجياً تدهور وضعه المادي وبعد أن تم الطلاق لم يجد أمامه سوى أن يلجأ لأبيه لكنه طرده من المنزل بدون شفقة فذهبت زوجته الأولى إليه دون علم عمها كي تتنازل

لـــه عـــن حصـــتها مـــن أمـــلاك عمهـــا التـــي كتبهـــا لهـــا ليأخذها ويسافر إلى دولة أخرى يؤسس حياته بها

لـم يتـردد لحظـة بقبـول ذلـك ثـم رَجوهـا أن تسـافر معـه لكنهـا رفضـت ورَجَتـه أن يُطلقهـا لأنهـا عاشـت لسـنوات بكذبـة عنـدما جعلهـا تحيـا علـى أمـل أن تصـبح أم ولـم تكـن تعلـم أنَّ حملهـا مسـتحيل ولـو صـارحها مـن الأول كانـت رَضِـيَتْ بـالأمر الواقـع وانتزعَـتْ مـن رأسـها فكـرة الأمومـة لكـن كذبـه عليهـا زاد مـن ألمهـا غيـر أنـه كـان يخبـر أبيـه دومـاً أن الوقـت لـم يحـن لـذلك فكثيـر مـن الأزواج انتظروا سنوات ثم رُزِقوا بمولود

سـافر لدولـة أخـرى وكلـه أمـل أن يؤسـس مـن جديـد حياتـه التـي خسـرها ويُعيـدَ ابنـة عمـه إليـه بعـد أن تسـامحه بمـرور الوقـت فقـد أصـبحَ علـى يقـينٍ بأنهـا لا تـزالُ تحبـه وعنـدما لـم تُسـاعده الظـروف عـادَ كـي يعمـلَ مسـاعدَ مهنـدس ويعيـدَها إليـه لكنـه فـوجِئَ أنهـا طَلَّقَـتْ نفسـها منـه بمسـاعدة أبيـه وتزوجـت رجـلاً آخـر وحامـل بطفلهـا الأول فـاحترق فـؤاده علـى الجـوهرة التـي أضـاعها مـن بيـت يديـه وعـانى مـن أزمـة نفسـية شـديدة فلـم يتخلـى عنـه أبيـه

بـل قـرر أن يُزَوجـهُ امـرأة تـوفي زوجهـا بحـادث سـير وعلـى يـدها طفـل رضـيع وكانـت بـالتعليم تسـاوي ابنـة عمه فرضِيَ بقرار أبيه وتزوجها واعتبر ابنها ابناً له.

انتهت

****

الأقارب

خَطَبْتُها بعد أن أُعجِبْتُ بها شكلاً وتفكيراً فقد كانت بنظري صاحبة العقل الرزين ولمستُ ذلك مع اللقاءات المتكررة والأحاديث المشتركة التي تجمعنا مع أهالينا وبيتِ خالي كونها ابنةَ خالتي وأَيْقَنْتُ بالمقابلِ أنها معجبة بي عندما وافقَتْ على ارتباطي بها فوراً حينَ أخبرتُها أنني أريدُ أنْ أتقدَّمَ لخطبتها

لم أجعلْ الخطبة تدومُ سوى بضعةِ أشهر فقد شعرتُ أنَّ عيونَ الجميعِ لا تنظرُ إلا إلينا بكلِ زيارة تجمعنا وكأنهم يراقبون كل نظرةٍ وحركةٍ نقوم بها فقطعْتُ كل ذلك التوتر الذي شعرتُ بهِ بإعلان موعد الزفاف

بعدَ أسبوعٍ واحد خاب ظني بها عندما فوجِئْتُ بأول لقاء لنا مع الأهلِ بصفتنا أزواج أنها عَقَدَتْ حاجبيها طوالَ السهرة وهي تنظر لإبنة خالنا وكانت كلما حاولَتْ الحديثَ معي تُطْلِقُ زوجتي كلماتها كطلقات نارية وهي ترُدُّ عليها عوضاً عني مما جعل كل

الموجـودين ينظـرون بدهشـة وألسـنَتَهُم تنعَقِـدُ كلسـاني مُـرَجِحينَ ذلـك للغيـرة كمـا سـمعتُهم يتهامسـون فاعتـذرتُ عن تكملةِ السهرة وانسَحَبْتُ مع زوجتي

التزمْـتُ الصَّـمتَ طـوال الطريـق ومـا إن دخلنـا المنـزل حتـى سـألْتُها عـن سـبب طريقـةِ كلامهـا الفظَّـة مـع ابنـة خالنـا التـي طالمـا كانـت أكثـرَ مـن أُختٍ بالنسـبة لهـا فأطلَقَت كلماتها بوجهي قائلة:

أتمـزحُ يـا ابـن خـالتي العزيـزة وكأنَّـكَ لا تعـرفُ أنَّ ابنـة خالـك تحبـكَ فقد أخْبَرَتْكَ بـذلكَ بعـد أن أعلَنْـتَ أنَّـكَ سـتَتَقَدَّمُ لخطبتـي لكنَّـكَ صـمتْتَ وعلامـاتُ الحـزن بانَـتْ علـى وجهِـكَ بسـبب قـرار الارتبـاط بـي فقـدْ أخبَرَتْنـي هـي بـذلك ولـم أُخبِـر أمـي حينهـا كـي لا تـرفضَ ارتباطنـا وبـذلك تُفسِحُ المجالَ لها بأخْذِ مكاني

وقَفْـتُ مصـدوماً لا أقـوى علـى النطـق وعـاد بـي الـزمن إلـى الـوراءِ بضـعة أشـهر فبعـدَ أنْ أخبـرتُ الجميـعَ أنـي سـآتي لخطبـةِ ابنـة خـالتي أرسـلَتْ ابنـة خـالي لـي رسـالةً نصـية وهـي جالسـةً أمـامي أخبَرَتْنـي بهـا أنـي قـد اسـتعجلتُ بقرارِ ارتباطي فهي تُحبني أكثرَ من ابنة خالتي

فعلاً حينها قد شعرتُ بالحزن لكن حَزِنْتُ لحالها ، فجميعنا كنا على علم بمشاعرها المُرهَفة بشكل كبير كونها تبكي لأسباب لا تستدعي البكاء فكيف وهي تراني أتزوج أقرب صديقاتها إليها ؟!

شرحْتُ لزوجتي كلّ ما حدَث بشكل مُفَصّل كي تعودَ كما عرفتها ولا تعيد ما فَعَلَتْهُ بتلك الليلة لكني فوجِئْتُ بعد ذلك أنها قد اتصلت بخالنا في صباح اليوم التالي وأخبَرَتْهُ بكل شيء قُلْتُه لها بدون أن تُخبرني ماذا فَعَلَتْ مما جعلَ خالي يقطع صِلته بي وبأمي وخالتي من غير سابقِ إنذار وكنا كلما اتصلنا به نخبره برغبَتنا لزيارته كان يختَلِق في كل مرة سبب يمنعنا من القدوم إليه لحين طفحَ الكيلُ مع أمي وخالتي وذهبَتَا إلى عملِهِ يسألانه عن السبب وبعد أن قصَّ لهما ما حدث قاما بلومي وتأنيب زوجتي كونها لم تكتفي بإخباره بما حدث بل طلبَتْ منه منع ابنتهِ عن مُحادثتي

عندما لم تستطيعا وَصلَ خالي لأشهر أصْبَحَتْ كل واحدةٍ تمارسُ دورَ الحماية وتُلقي اللوم على تربية الأخرى مما جعل صلتهما ببعضهما تنقطع وقامَت

خـالتي بقطـع علاقتهـا معـي وأمـي بقطـع علاقتهـا مـع زوجتـي فباتَـت كلمـا رغِبَـتْ أمـي برؤيتـي تتصّـلُ شخصـياً بي كي آتي وحدي لزيارتها وكذلكَ خالتي مع ابنتها

لقد وضّحتُ لخـالي سوءَ الفهم الـذي حصـل حالمـا عَرِفْـتُ بسـبب انقطاعـهِ عنـا لكنـي صُـدِمْتُ بإصـرارهِ علـى رأيـه بـأني أنـا الـذي جعلـتُ ابنتـه وزوجتـي تعتقدانِ أنـي أحبهمـا بسـبب مزاحـي معهمـا وإطراءاتـي لهمـا بكـل مـرة أراهمـا بهـا غيـر الأحاديـثِ التـي كنـتُ أفتحهـا معهمـا وبَقِـيَ مُنقَطِعاً عن الجميعِ سنتان

كانـت تلـك السـنتين مـن أسـوأ السـنين التـي عشـتها فقـد كنـتُ أختنـقُ مـن الخيبـة بمـن كـانوا أقـرب النـاس لـي بـدءاً مـن قطيعـة الـرحم التـي حَصَـلَتْ ورابـط القرابـة الضـعيف الـذي قُطِـعَ عنـد أول مشـكلة إلـى التمسـك بسـوء الظن وسمعتي التي أصبَحَتْ سيئة بين الناس

ولأنَّ زوجتـي هـي التـي أشْـعَلَتْ فتيـلَ المشـكلة كنـتُ أراهـا دومـاً السـبب بـالحزن الـذي أعيشـه رغـم أنـي حاولـتُ جاهداً أن أنسـى مافَعَلَـتْ لكـن الألـم كـان أكبـر مـن

قُـدرتي علـى النسـيان أو التَّحمُـل مما جعلنـي أُطَّلِقهـا وأسافرُ للعيشِ في دولةٍ مُجاورة

مـن أوَّلِ سـنةٍ تعرَّفـتُ علـى فتـاةٍ بالعمـل بعـدَ أنْ مَضَـتْ بضـع أشـهر التَقَينـا بهـا بشـكل يـومي فَبَـادَرَتْ هـي بـدعوتي لاحتسـاءِ القهـوة كـوني ضـيفٌ لـديهم وبعـدَ بضـعِ لقـاءات سـألَتَني عـن وضـعي الاجتمـاعي ثـمَّ عـن سـبب الطـلاق فَأَخبَرْتُهـا بكـل مـا حَـدَث ولـم تمضـي بضـعة أيـامٍ حتى اتَّصَلَتْ بي قائلة :

أبي يرغب بالتعرُّف إليك

ذهبْتُ للقاءِهِ وأنا أتَعَجَّبُ من سببِ رغبَتِهِ بالتعرُّفِ بي

عندما دخلتُ وبعد إلقاءِ التَّحيةِ قالَ لي :

أخبَرَتْنـي ابنتـي بكـل مـا حَـدَثَ معـك فطلبـتُ لقـاءَكَ لتُعيـدَ لي ما قُلْتُهُ لها

لـم أفهَـمْ سـببَ ذلـك ولـم أسـأله حتـى فقـد كـان حـديثي مـرةً أخـرى عـن خيبتـي بأقـاربي فرصـةً كـي أُخَفّـفَ حزنـي كـوني لـم أُخبِـر أحـداً بـألمي قـط سـوى ابنتـه وبعـد بضـعةِ

أيـام اتصـل بـي والـدها شخصـياً ودعـاني لتنـاول الغـداء وبعد أن انتهينا قال لي :

لقـد مَـنَّ الله علـيَّ بنعمـةِ أنـي أعـرِفُ الخبيـث مـن الطيـب مـن بنـي البشـر بمجـرَّد أول حـديثٍ لـي معهـم وهـذا الـذي جعلنـي أُبعِـدُ عـن طريقـي كـل مـن أرادَ بـي وبعـائلتي سـوءاً وجعلْـتُ مكانـة عـائلتي بـين النّـاس بالأعـالي بالسـمعةِ الحسـنة بسـبب معاشـرتي للنـاس الطيبـة ويشـهدُ الله أنـي قـد صَـدَّقتُكَ وارتَحْـتُ لـك مـن أوّل لقـاءٍ بـك وأريـدُ تزويجَـكَ ابنتـي وكـأنَّ الله قـد اصـطفاكَ لهـا مـن بـين كـل العرسـان الـذين تقـدَّموا لهـا ورفَضْـتُهم لعـدم شـعوري بالراحة لهم

شـعرتُ حينهـا أنَّ كـل الألـم الـذي عشـتُهُ قـد اختفـى بلحظـة فقـد جَبَـرَ خـاطري بتلـك الكلمـات التـي قالهـا وأنَّ الله قـد كشـفَ لـي الزَّيـفَ الـذي عشـته ليـدُّلني علـى أنـاس صـادقة صريحة مُتحابّة

وافقـتُ بـنفس اللحظـة علـى الـزواج بابنتـه وأصـرَّ أبيهـا أن يتكّلـف بمصـاريف قـدوم أمـي وأبـي وأختـايَ الصـغيرَتَين لحضـورِ حفـل الزفـاف وبعـدَ أن تـمَّ الـزواج

عشــتُ أجمــلَ الســنين مــع زوجتــي وعائلتهــا وأصــبَحَتْ حيـاتي مملـوءة بالحـب والتفـاهم فلـم يكـنْ أحـدٌ مـنهم يسـمحُ لســوءِ فهــمٍ أو ظــن بــأن يُخَــرّب علاقتــه بــأي فــردٍ مــن العائلـة وبـتُّ أَنْـدَهُ لكـلِ واحـدٍ مـنهم كمـا تَنـدَهُ زوجتـي لهـم أمي وأبي أختي وأخي

انتهت

****

* قصة قصيرة*

كان هناك زوج يُعاني من عقدة أنا الرجل وكلامي هو الصحيح الذي سَيُنَفَّذ وكان يعارض زوجته بكل كلمة تقولها حتى لو قالت إن الطقس حار وكانوا في شهر آب قال لها لا تبالغي إن الطقس جميل

لحين جاء يوم وعاد من العمل مرهقاً والصُفرة تكسو وجهه فقد بدت عليه أعراض المرض فقالت له :

يبدو عليك النشاط رغم ساعات العمل الطويلة

فرد بصوت كاد أن يُسمع :

لا أنا متعب كثيراً

فقالت بابتسامةٍ صفراء وكأنها تأخذ ثأرها منه :

لا تبالغ ، فالحمرة تكسو وجهك وكأنك عدت بالعمر عشر سنوات إلى الوراء وبما أنك بهذه الحيوية دعنا نخرج لتناول الغداء فقد شعرتُ بالخمول ولم أطهو شيئاً

ارتسمت البسمة على وجهه بعد أن تغزلت بجماله ولأول مرة نفَّذَ كلامها وذهبا إلى المطعم وعندما عادا إلى المنزل شعر بأنَّ رجولته قد اهتزت بعد أن مشى كلامها عليه وقرر أن يزيد من معارضته لكلامها أكثر فأكثر لكنه لم يكن على دراية بأنَّ زوجته كانت تخطط أن تستغل طبعه لصالحها

فقالت ذات مرة:

إن شاشة التلفاز جميلة رغب بهتان ألوانها ولا يجب أن نغيرها قبل عشر سنوات

فرد قائلاً:

إنّ ألوانها أوشكت أن تتحول إلى الأبيض والأسود ومن فترة وأنا أفكر بشراء شاشة أخرى

وفي اليوم التالي أحضر شاشة جديدة لطالما حلمَتْ باقتنائها وتتالت لبقية أثاث المنزل والثياب ومن ثم البيت وعاشت سعيدة وهو يظن أن كل ما يريده هو ينفذه .

****

* ما خلقكم لينساكم*

ولِـدْتُ فـي عائلـة علـى الـرغم مـن فقرهـا لكنهـا مسـتورة الحـال فـأمي ربَّـة منـزل وأبـي يعمـل لـيلاً ونهـاراً بـلا كلـل وبالكـاد يجنـي قـوت يومنـا ولأنـي كنـت الابنـة الوحيـدة لهمـا تمنيـت أن أُنجـب عـدة أطفـال مـن زوج حنـون كـأبي وأحيـا برضـا وسـعادة معـه كمـا تحيـا أمـي إلـى أن تحقـق حلمي

كنـتُ أحيـا مسـتورة الحـال مسـتقرّة ومُطمَئِنّـة مـع زوجـي الـذي لا أسـتطيع وصـفه بالكلمـات فقـد كـان رجـلاً عطوفـاً متفهمـاً كريمـاً منـذ أول زواجنـا وبعـدَ أن رُزِقنـا بطفلـين تـوأم ازدادَت صـفاته الحسـنة فأصـبحَ نِعْـمَ الأب حنونـاً ، مُحبّاً يمنع اللقمة عن نفسه ليعيطها لولديه

بعـد أن أتـمَّ طفلينـا الخمـس سـنوات حملـتُ مـرة أخـرى فأحـاطني بالاهتمـام والرعايـة بالأشـهر الثمانيـة وبكـل شـهر يمضـي كـان يضـع يـده علـى بطنـي ثـم يقـول ضاحكاً :

ابنتي أريدُك شبه أمكِ بالجمال والحنان وأكثرمنها إن استطعتي

جاء اليوم الذي كنا سنبدأ به العدّ التنازلي لاستقبالها أول يوم من شهري التاسع عاد بذلك اليوم من العمل مرهقاً فطلب مني أن أُوفّر له جواً هادئاً لأنَّ رأسه يؤلمه وأن لا أنسى إيقاظه بعد ساعتين

جلستُ مع طِفْلَيَّ بصمت وكأنَّ لا أحد بالمنزل وبعد مرور ساعتين دخلتُ إليه لكي أوقظه فإذا بجسده بارد مسترخٍ وكأنه دمية نائمة بدأتُ بهزّه ومناداته حبيبي حبيبي وقلبي يرتعش خوفاً فقد كان يصحو من كلمة واحدة مما جعلني أضغطُ على قلبه بكلتا كفي ورفعتُ قدميه إلى الأعلى كما شاهدتُ في التلفاز ذات مرة وعندما لم يبدي أيَّ حراك تساقطت دموعي من الذعر وأنا أكلم نفسي :

ماذا أفعل ؟! يا الله ساعدني لم يخطر ببالي سوى جيراننا فهرولت إليهم لعلهم يساعدوني في نقله إلى المستشفى أو حتى الاتصال بالاسعاف

هـرول جارنـا وزوجتـه علـى الفـور وبعـد أن لامَـس نـبض يده وتأكد من أنفاسه وضربات قلبه قال لي :

رحمه الله

كـاد قلبـي أن يتوقـف مـن الألـم وشـعرتُ بلحظتهـا كـأنَّ المنـزل انهـدم فـوق رؤوسـنا ومـت معـه أنـا وأطفـالي توسّلتُ له أن يتصل بالاسعاف فقال:

لـن تـأتي سـيارة إسـعاف إلـى بيـت فـي قلـب العشـوائيات فسـوف تضـيع بأزّقتهـا لكـن سـأطلب المسـاعدة وأنقلـه إلـى المشفى

شـعرتُ ببصـيص أمـل لعـل فيـه أنفاسـاً تنتظـر الإنعـاش فتركـت طِفلَـيَّ عنـد أولاد جـارتي وهرولـتُ معهمـا إلـى المشفى وقلبي يرجو الله أن يكون على قيد الحياة

كانـت المـدة التـي اسـتغرقناها للوصـول كفيلـة بـأن تُنهـي حيـاة أي مـريض ينـازع المـوت فمـا إن أدخلـوه للإنعـاش حتى خرجوا وأكدّوا وفاته

شُـلَّت قـدماي عـن الحركـة فـإذا بـي ألطـم وجهـي وأصرخ :

يـا الله لـم يكـن لنـا معيـل سـواه يـا الله كيـف سـنحيا مـن بعده لِمَ أخذته ولم ترأف بحال أطفالي

لـم يكـن لنـا أقـارب كـي أخبـرهم فبعـد وفـاة والـدايَ وأمـه لـم يتبقـى سـوى أبيـه وأختـه المتزوجـة وبعـد أن أخبرتهمـا أتَيـا مـع زوج أختـه وتمـت إجـراءات الـدفن والعـزاء وأنـا مغيَّبـة عـن الـوعي شـعرتُ كـأني فـي كـابوس لا أسـتطيع الاسـتيقاظ منـه ولـم يمضـي أسـبوع حتـى أتـاني ألـم المخـاض فتمنَّيـتُ لـو أفـارق الحيـاة لألتقيـه فـي الحيـاة الأخـرى فـإذا بـأولادي لاحـوا أمـام نـاظريَّ فـدعوت الله أن ألد بسلامة كي لا يبقى أولادي بلا أب وأم

وضـعتُ ابنتـي ثـم قبَّلْتهـا وغطَطْـتُ فـي نـوم عميـق فـإذا بزوجي يأتيني في المنام ويقول :

بـاركَ الله بابنتنـا كأنهـا نسـخة منـكِ ولا تقنطـي مـن رحمـة الله فما خلقكم لينساكم.

صـحوت بعـدها ثـم صـرختُ باسـمه وتسـاقطت دمـوعي فكـم كنـت أنتظـر لحظـة قـدوم ابنتـي وهـو بجـانبي لأرى

السـعادة بعينيـه وأحظـى بحـب واهتمـام مضـاعَفَيْن ممـا جعلني لا أُلقي بالاً لذلك المنام إلا عندما تحقق.

* ما خلقكم لينساكم(التكملة) *

مـا إن اسـتعدتُ قـواي حتـى عـدتُ لمنزلـي بعـد أن تشـكّرتُ أخـت زوجـي التـي لـم تُكَلّـف نفسـها عنـاءَ أن تطلـب منـي المبيـت عنـدها أكثـر فكانـت تراقـب زوجهـا مـن أول دخولـه المنـزل للحظـة خروجـه خشـية أن يـتكلم معـي أي كلمـة شـعرتُ برهبـة فـي العـودة إلـى المنـزل وزوجـي لـيس فيـه وتمنيّـتُ لـو كـان لـدى والـد زوجـي منـزلاً خاصـاً بـه لكنـه بـاع منزلـه وأعطـى نقـوده لـزوج ابنتـه كـي يصرفها على تجارته وعاش معهما منذ ذلك الحين

دخلـتُ وفـؤادي يبكـي بصـمت فقـد تماسـكتُ نفسـي أمـام طفلـي ولأجـل ابنتـي فـالحزن والـدموع ربمـا يحرمانهـا مـن غـذائها كانـت أول ليلـة بدونـه أطـول ليلـة فـي حيـاتي جلسـتُ أفكـر وأدعـو الله مـن صـميم قلبـي بـأن يرزقنـا ولا نحتـاج لمخلـوق مـع أنـي كنـت فاقـدة الأمـل فـلا أجيـد صـنعة ولا أعـرف عمـل شـيء وحمـدت الله بـنفس الوقـت أنَّ

خـزين الطعـام الـذي أُعِـدُّه كـل سـنة لا يـزال ممتلئـاً وأنَّ المرحوم كان قد وضع معي نقوداً ادّخرها للأزمات

مضـت أيامـاً لـم يسـأل عنـي أحـد إن كنـتُ أحتـاج لشـيء حتـى أخـت زوجـي وأبيـه لـم يسـألا البتّـة كمـا اعتـدنا عليهمـا فبـدأ قلبـي يـرتعش خوفـاً مـن أن اضـطر للتسـوّل واصـطحب أطفـالي معـي فبـتُّ أسـهر ليـالي أرجـو الله أن لا أحتـاج أحـداً وذات يـوم طُـرِقَ البـاب فـإذا برجـلٍ هيئتـه كانت كرجال الأعمال الأثرياء وقال لي :

أنا ابن جاركم الشيخ الكبير

ثـم اسـتأذنني لحظـة وذهـب لسـيارته وأنـزَلَ جارنـا وعنـدما أقـبلا نحـوي صـفَعْتُ جبهتـي بصـدمة وأنـا أقـول :

يـا إلهـي كيـف نسـيته؟! أعتـذر أشـدَّ الاعتـذار فمـوت زوجـي قـد أعمـاني ونسـيتُ أن أزور العـم المسـكين كمـا كنا نفعل أنا وزوجي

فكادت جفون ابنه أن تتمزق من الدهشة وهو يقول:

رحمه الله لكن على ماذا تعتذرين ؟! اعتنائكما بوالدي كان من أخلاقكما الحسنة وليس من واجبكما

دعوتهما للدخول وبعد أن أحضرت كأس ماء لجارنا بدأ ابنه بالحديث قائلاً:

كنت أشعر بالاطمئنان على أبي على مدار سنوات بعد وفاة أمي ومرضه فقد كنتُ أتكلم معه يومياً ويخبرني أنكما قد زرتماه واعتنيتما به لبعض الوقت فقد كان يرفض البتّة أن يترك المنزل ويعيش معي ومع زوجتي كونه قد سمع بأذنيه رفضها إقامته معنا وطلبَتْ مني أن أُدْخِلَهُ دار المسنين ومع أني رجوته كثيراً ألا يكترث لكلامها أو يسمح لي أن أشتري له منزلاً جانب منزلي لكنه أصرَّ على رفضه وقوله: أريدُ أن أموت ببيتي وعلى فراشي لكن منذُ أن انقطعتما عنه كان يتصل بي يومياً ويخبرني أنه يشعر بالوحدة وأنه يطرق بابكم يومياً بلا مجيب

لم أستطع أن أزوره بالأسبوع سوى يوماً واحداً بحكم عملي مما جعلني أخبر زوجتي منذ بضعة أيام أني سأحضر أبي للعيش معي وحاولتُ إقناعها بكافة

الأساليب من ترغيب وترهيب كي لا تُلقي بالكلام المزعج على مسامعه كما فعلَتْ لكنها عندما خيّرتني بين طلاقها وأبي طلقتها وأتيتُ لاصطحابه معي وقلتُ في قرارة نفسي أن أطرق الباب عليكما للمرة الأخيرة لعلَّ أحدكما يفتح لي وأتشكّره على معروفكما لكن بما أنَّ زوجكِ توفي فمن واجبي أن أردَّ معروفكما مع أبي وأدعوكِ برفقة أولادك للعيش معنا كمدبرة منزل فالمدبرة التي كانت تقوم بالطبخ والتنظيف ذهبت مع طليقتي وبنفس الوقت تعتنين بأبي كما كنتِ تفعلي وتأخذي مرتّباً لتحضري احتياجات أولادكِ لكن إن كنتِ غير موافقة فاحترم رغبتكِ.

حلَّق قلبي بأرجاء صدري ووافقتُ بنفس اللحظة ودموع الفرح تغمر عيناي مما جعله يطلب مني أن أحزم أمتعتنا كي يأتي غداً بنفس الوقت لاصطحابنا

أمضيتُ الليلة بفرح أنساني حزني وخوفي وألمي قمت بتجهيز كل شيء وفي الوقت المحدد ما إن طرق الباب حتى فتحته بلهفة وقام بمساعدتي بنقل الحقائب دخلتُ المنزل فشعرتُ براحة نفسية لا مثيل لها وكأنه

منزلـي الخـاص ليتحقـق ذلـك بعـد بضـعة أشـهر فقـد طلـب يـدي للـزواج بحضـور أبيـه وأخبرنـي أنـه لا يُنجِـبُ أطفـالاً وأكَّـدَ لـي بحـال رفضـي لـن يتغيـر شـيء علـيَّ وعلى أطفالي

وافقتُ علـى الفـور كـوني لـم أرى سـوء خلـق عليـه طـوال تلـك الأشـهر غيـر محبتّـه ورعايتـه لأطفـالي وإحضـاره طلبـاتهم واحتياجـاتهم كـأنهم أطفالـه لدرجـة أنـي لـم اضـطر ولا بشهر واحد أن أصرف كل مرتّبي

تـمَّ الـزواج وعشـتُ معـه أجمـل سـنين حيـاتي برفاهيـة وغنى لم يخطر ببالي أني سأعيشها يوماً ما

كَبِـرَ أطفـالي وهـم ينـادوه بـأبي وبـدوره كـان نِعْـمَ الأب والزوج

انتهت

****

* قسمتي ونصيبي*

كنت أحلم بمستقبل أعيشه مع فتاة أتزوجها عن حب متبادل يرتعش قلبي عند الحديث معها تلك الرعشة التي تعلن استسلامه للعشق ومع مرور أول سنتين في الجامعة كانت عيناي تبحثان دوماً عن تلك الفتاة التي سَتُدْخِلُ قلبي إلى عالم الحب لكن دون جدوى مع أني كنتُ أتحدّث إلى كل بنات دفعتي بلا استثناء فكوني الأول في كلتا السنتين كانت كل واحدة تطلب مني إما شرح سؤال أو أخذَ محاضرة مما جَعَلَ كل زملائي يحسدوني، ويُسمعوني الكلام ذاته :

أيامك يا عمي لو كنتُ مكانكَ لتنازلتُ لها عن محاضراتي وعلاماتي وقلبي

فكَونَ قسم الرياضيات يتطلّب دماغاً مستيقظة كانت أدمغة جميع زملائي مستيقظة لكل شيء عدا الرياضيات مما جعلني أتفوَّق عليهم

قبلَ يأسي من الشعور بالحب انتَقَلَتْ إلى كُلّيَّتِنا فتاةً من محافظة أخرى بعد أن بدأ الدوام ببضعة أسابيع وعندما طلبَتْ مساعدة الفتيات أخبرنَها أنَّ لا أحد يستطيع مساعدتها سواي فسألَتْني عن المحاضرات التي فاتتها وطلبَت مني أن أشرح لها الذي لم تحضره فجلسنا في المقهى التابع للكلية وما إنْ بدَأت بالشرح وأنا أنظر إليها حتى ارتعش قلبي رعشة لم أستوعبها حينها فقد كنتُ تائهاً بين الأرقام وسواد عينيها وملامحها التي أوحَت أن كل تركيزها مُنصَبَّاً على الفهم

أخذْتُ كل الوقت لشرح محاضرة واحدة ، ثم طلبتُ منها لقاءات أخرى متتالية كي أنهي كل الشرح قبل أن نتوَغَّل في الدروس أكثر وبدورها وافقت بكل ممنونيّة لكني كنتُ أشعر بأني أنا المُمْتَنُّ لها

ما إن التَقينا مرة أخرى حتى تأكَّدتُ من أنَّ مشاعري قد تحرَّكَت بعد أن كنتُ اعتقدْتُ أنها قد دُفِنَتْ وأنَّ الفتاة التي ستكون نصيبي ليست موجودة في الحياة وربما قد فارقَتْها في يومٍ ما

شعرتُ بسعادة لا مثيل لها بعد أن طلبَت رقم هاتفي كي تسألني إن استعصى أمر ما عليها وبعد تتالي اللقاءات استطَعْتُ وبفضل استيعابها أن أجعلها تصل إلينا بفهم المحاضرات و شعرتُ بالحزن كون لقاءاتنا قد انتهت وبدَأتُ أفكر بأعذار كي ألتقيها مرة أخرى ،لكن تفكيري لم يطل ففي صباح اليوم التالي صُدِمْتُ عندما أتَتْني رسالة منها تطلب لقائي خارجَ الدوام لاحتساء كوبٍ من الشاي كونها لن تأتي إلى الجامعة لأمرٍ خاص

وصلتُ في الوقت المحدد فإذا بها جالسة بانتظاري جلستُ متلهفاً لأسمع ما ستقول وبعد أن طلبت الشاي لكلينا قالت لي:

أودُّ أن أطلب منك معروفاً

تفضلي

أريدُ منك أن تخطبني.

قسمتي و نصيبي (الجزء الثاني)

اختفى صوتي فجأة وشُلَّ لساني للحظات واعتقدتُ أنَّ هذا مقلب والكاميرا الخفية في مكان ما فضحكتُ ثم قلتُ:

سأخطبكِ بكل سرور متى تريدين الزفاف ؟!

اغرَوْرَقَت عيناها بالدموع وفجأة أجهَشَت بالبكاء وبدأت بالحديث:

لقد كنتُ أحبُ شاباً فقيراً يعمل بتصليح السيارات في الورشة التي كنتُ أرتادها لتصليح سيارتي وعندما تقدَّمَ لخطبتي رفض أبي رفضاً قاطعاً ثم أنهى أعماله في مدينتنا وانتقلنا إلى هنا تمهيداً للسفر خارج البلاد كلها بعد أن أُنهي هذه السنة أو أن نبقى هنا بحال تقدَّمَ شاب لخطبتي يوازيني بالتعليم وبالوضع المادي وبعد أن سألتُ عنكَ كل بنات الدفعة عرفت أنك شاب خلوق لم تُحِبَّ فتاةً إطلاقاً ووضع عائلتك المادي ميسور غير أنك ستتخرَّجُ هذه السنة وتُدَرِّس في الجامعة

كمُعيد، فتأكَّدتُ أنك الشاب الذي سيوافق عليه أبي وينهي فكرة السفر خارجاً

صمتْتُ للحظات وشعرتُ كأني بطل من أبطال رواية خيالية لجَأَت البطلة إليه لإنقاذها لكن فجأة داهم لساني سؤال:

وبعد الخطوبة ماذا سيحدث ؟! هل تريدين الزفاف لاحقاً أم أن أفسخَ الخطوبة بعد مدة ؟!

ابتسمت والدموع تملأ عينيها :

كما تريد لكن الخطوبة هي الحل الوحيد كي لا نخرج من البلاد أنا أعشق بلدي وإن خرجْتُ منها سأختنق لا محالة وربما أقتل نفسي

هدّئي من روعك ليس لهذه الدرجة وماذا بخصوص الشاب الذي تُحبيه؟! أقصد هل لا تزالين تحبيه أم لا ؟

تنَفَّسَتْ الصعداء ثم قالت:

أبي عاقبني بأغلى شيء على قلبي وهو أن نترك بلدنا إلى الأبد مما جعلني أنسى حبيبي وكل شيء يخصه

إذاً لماذا لم تهربي معه ؟

لستُ من هذا النوع من الفتيات ولا تنسى أنَّ وضعه المادي لا يساوي حتى ربع وضعنا فكيف سأحتمل هذه الحياة ؟ فقد كنتُ أطمحُ أن يُساعده أبي بأن يفتح ورشة خاصة به مع عمال تحت إمرَتِه

ساد الصمت بيننا لدقائق وموجة من الأفكار تجتاحني ثم قلتّ في قرارة نفسي:

لو أنها تحبه لكانت تخلَّتْ عن كل شيء ورحلت معه وبما أنني المنقذ الوحيد لها فحتماً ستحبني لاحقاً وبذلك أكون قد جعلتُ الفتاة التي ارتعش قلبي بحضورها من نصيبي

وأحقق حلمي المستقبلي فأنا على يقين أني سأعيشُ معها حباً أبدياً فقلتُ لها:

موافق لكن أمهليني بعض الوقت لأفتح الموضوع مع والداي

مسحَتْ دموعها وارتسمت ابتسامة خجولة على وجهها :

أشـكركَ مـن صـميم قلبـي ولـن أنسـى معروفـك معـي إطلاقاً

عـدْتُ إلـى المنـزل وأنـا أسـترجع تلـك الملامـح الطفوليـة البريئـة والسـعادة تغمـر كيـاني بـأنَّ القـدر قـد أحضـرها إلـيَّ مـن مدينـة أخـرى بعـدَ مشـكة اعترضَـتْ حياتهـا ولـم تجد سوايَ لحلّها

كانـت الأمـور تسـير بمخيِّلتـي بكـل سـعادة إلـى أن فاتَحْـتُ والـدايَ واشـتعَلَتْ لهيـب المشـاكل بيننـا لأول مـرة فـي حياتنا

كانت أول شتيمة أسمعها بحياتي من أبي :

هل أنتَ أحمق ما نفع دراستك إن كان لا عقل لديك؟!

وقفتُ كتمثالٍ من هول الصدمة فقاطَعَتْه أمي قائلة:

وما يُدريكَ ربما قد تكون صادقة

صرخ أبي بوجهها وهو يقول :

الآن قد عرفتُ من أينَ أحضرَ ابنك ذكائه

تساقطت دموع أمي بلحظة مما جعلني أردُّ في وجهه بنبرة حادة:

وجّه شتائِمَكَ لي فلا علاقة لأمي

كان سينقَضُّ عليَّ لضربي لكن أمي وقفت أمامه وهي ترجوه أن يهدأ والدموع تتساقط من عينيها فقرَّرْتُ أن أنسحب لغرفتي كي لا تتفاقم المشكلة أكثر

مع أني كنتُ أعتقدُ أني ضعيف الشخصية لكن وقوفي بوجه أبي بتلك القوة جعلَ ذلك حافزاً لي بأن أتمسَّكَ بها أكثر وأُصِرّ على خطبتها

استمرَّ أبي على حاله بضعة أيام لا يُحادِثُ أمي ولا يُحادثني وكلما حاول أحد منا أن يتكلم معه كان يردُّ غاضباً:

دعوني وشأني

حاولَتْ أمي أن تفتح الموضوع معه مرة أخرى وتحاول إقناعه بعد أن أخبرتني أنها ستُحادِثُهُ وطَلَبَتْ مني أن أقف وأسمعها ثم بدَأَتْ حديثها :

من الواضح أنَّ ابنكَ معجبٌ بها افرِضْ أنَّهُ ذهب من وراءنا وخطبها ولا تنسى أنَّ ابنكَ لا ينقصه شيء يستطيع أن يعمل أستاذاً لمادة الرياضيات ويجني مبلغاً مالياً يمكن من خلاله أن يصرفَ عليها ولا تنسَ أنَّ أباها كما فهمنا بأنَّ أحواله المادية جيدة وربما يوافق على زواجهما بدون أن نحضر ويعطيهما منزلاً خاصاً لهما كون ابننا به كل المميزات التي يرغبها بزوج ابنته وحينها كيف ستصبح سمعتنا أمام الناس ؟!

صمت أبي للحظات اعتَقَدْتُ بها أنه سيردُّ بالموافقة لكنه قال بصوت منخفض رفَعَهُ بشكل تدريجي:

أنتِ تُهَدّدينني أيتها الحمقاء! وتعلمي ابنك أن يتمرَّدَ عليَّ ويُلَطّخَ سُمعتي بين الناس ؟!

حينها قاطَعْتُهُ وأنا أصرخ :

أمي لا علاقة لها هذا الكلام أنا طلبتُ منها أن تقوله لأنني سأفعله وإن حاولتَ أن تقف بطريقي سأترك المنزل ولن تستطيع إيجادي البتة

انقَضَّ أبي عليَّ بلحظة واستطاعَ صفعي فانهالت دموع أمي وكأنها هي من تَلَقَّتها مما جعلني أنسحبُ مرة أخرى دونَ أن أنطق بكلمة

لأنَّ تلك أول صفعة تلَّقيتها في حياتي توقَّعتُ أنها ستكون السبب بهدوء أبي وسماعي وكان توقُّعي صائباً فعندما حان المساء طلبتُ من أمي أن تصعَدَ معي لغرفة أبي كي يكون الكلام أمامها وما إن دخلنا حتى قال أبي غاضباً:

إن كنتما ستتحدثان بنفس الموضوع اخرجا

أبي منذُ متى ونحن لا نتناقش ؟ دعنا نتحاور في الأمر فإما أن تقنعني أو أقنعك

صَمَتَ للحظة ثم أشار لنا بالجلوس

أبي أعرف أنك تحب الزواج على الطريقة التقليدية وهو بالفعل سيكون كذلك ، فأمي ستذهب لخطبتها وكأني لم أتحدث معها لماذا تريدُ أن تجعلني أندم لأني صارحتك؟! فقد كان باستطاعتي أن أقول لك أني أُعْجِبْتُ بها وأريد خطبتها لكنك علَّمتَني على الصدق

ولـديكَ كـل الحريـة بـأن تسـأل عـن سـمعتها وسـمعة أهلهـا ولا تنسـى أنَّ لـكَ أصـدقاء وأقـارب فـي المدينـة التـي أتـت منهـا وبـدوري طبعـاً إن رأيـتُ منهـا سـوءاً فسـوف أفسـخُ الخطوبة

عاوَدَ أبي الصمت للحظات ثم قال لأمي :

بمـا أنـكِ توافقيـه الـرأي اذهبـي لرؤيتهـا وكأنَّهـا لـم تتحـدث معـه ولا تُخطِئـي بكلمـة أمـامَ أهلهـا تـوحي أننـا نعـرف بـالأمر كـي لا نتسـبَّبَ لهـا بمشـكلة إن تـمَّ النصـيب أو لـم يتم

ثم قالَ لي :

أَخْبرهـا أن تسـأل أهلهـا عـن الوقـت الـذي يُناسـبهم كـي تأتي أمك لرؤيتها

عانَقْتُ أبي بحرارة ثم قلت له :

أدامك الله فوق رؤوسنا

زغـرَدَتْ أمـي مـن شـدة الفـرح فعانقتهـا وقبَّلـتُ جبينهـا ويديها فقال أبي :

أبوكَ تُعانقه فقط أما أمك عناق وقبلات

ثـم ضـحكنا وقبَّلْتـه كمـا قبَّلْـتُ أمـي وعـاودْتُ تقبيـل أمـي مرة أخرى فضحكت أمي ثم قالت:

اخـرج ودعنـا ننـام قبـل أن يطلـب منـك أبيـك تقبيلـه مـرة أخرى

حلَّقْـتُ لغرفتـي فرحـاً وأنـا أتَلَهَّـفُ لقـدوم صـباح الغـد كـي أخبرهـا وجهـاً لوجـه وأرى كيـف تبـدو ملامحهـا وهـي سعيدة.

قسمتي ونصيبي(الجزء الثالث)

كان صباح اليوم التالي متميّزاً كوني بدأتُ أسير أول خطواتي نحو تغيير حياتي السابقة المملة الخالية من مشاعر الحب.

عندما رأيتها هرولتُ إليها قائلاً:

أريدُ أن أراكِ بعدَ انتهاء المحاضرة في المقهى لأمر ضروري

نظرَتْ لي بعينين خائفتين:

هل رفضَ والداك؟

مثَّلْتُ الحزنَ عليها وخفضْتُ ناظريَّ أرضاً:

عندما نلتقي سأخبركِ.

ما إن انتهت المحاضرة حتى هرولت قبلي وجلسَتْ تنتظرني وأنا أمشي كسلحفاة مبتهجة دخلتُ المقهى فرأيتُ عيناها تبحثان عني مما جعلني لا أستطيع أن أستمرَّ بالتمثيل أكثر فجلستُ وقلتُ على الفور :

وافـقَ والـداي ومـا عليـكِ سـوى أن تسـألي والـداكِ عـن اليوم المناسب لهما كي تأتي أمي للتعرّف عليكم

صـفَّقَتْ وصـرخَتْ فرحـاً فاتَّجَهَـت كـل العيـون نحونـا بتعجّـب ولسـوء حظـي كـان زميلـي الملّقـب بالإذاعـة جالسـاً خلفـي وسـمع كلامـي فقـال بصـوتٍ أسـمَعَ كـل الجالسين :

محبوب الفتيات سيتزوج

مـع تصـفيق الجميـع والتصـفير والتهـاني ذُبنـا أنـا وهـي مـن الخجل

اتَّصَـلَت بـي مسـاءاً وأخبَرَتْنـي أنَّهـم بانتظـار أمـي بعـد يومـان اعتَقَـدْتُ أنهـا فـي هـذان اليومـان لـن تفـارقني لكنهـا ابتَعَدَت عني وكأنَّ لا شيءَ سيحدث بيننا

عـادت أمـي مـن زيـارتهم والسـعادة تغمرهـا فقـد أُعْجِبَـتْ بجمالها وأدبها ورقيّ عائلتها فقالت لأبي:

كمـا طلبـتَ منـي فقـد حـدَّدْتُ موعـداً بعـد ثلاثـة أيـام لنـذهبَ لخطبتها رسمياً

لـم أَتَحَمَّـل مـرور يـوم آخـر وكأنهـا غريبـة عنـي ممـا جعلني أذهب إليها وأقول :

ألا تعتقـدي أنـه يجـب علينـا أن نلتقـي ونتحـدث كـل يـوم لنتعرَّف على طباع كلينا

ارتَبَكَـتْ وهـي تفـرك كفَّيهـا ببعضـهما ثـم تلعثَمَـت وهـي تقول :

بعـدَ أن تـتمَّ الخطوبـة سـنلتقي ببيـت أهلـي وبالاسـتراحات فقـط فـلا أسـتطيع أن أتـأخرَ عـن المنـزل إطلاقـاً ولا أريـد أن أكون السبب بتراجع تحصيلك العلمي

انْفَرَجَـت أسـاريري كونهـا تهـتم لأمـري مـا عـدا أدبهـا وخجلها الذي بدا واضحاً من طريقة كلامها

بـاليوم الـذي كنـا سـنذهب لتحديـد موعـد الخطوبـة أتـى أبـي بـالخبر اليقـين بـأنَّ سـمعة عائلتهـا نقيـة لا تشـوبها شـائبة وبعـد أن رحبّـوا بنـا أشـدَّ ترحيـب ووافقـوا علـى طلبنـا تـمَّ تحديد حفلة الخطوبة بعد إسبوعين

أقمنـا الاحتفـال بصـالة أعـراس ملكيـة وكأنـه يـوم زفافنـا دعونـا كـل أقاربنـا وهـم بالمقابـل دعـوا أقـاربهم ولـم أنسـى

كل أصدقائي ومعظم زملاء دفعتي لكنها لم تدعو أي زميلة لها وحتَّى أنها لم تبتسم بوقتٍ كان به الغرباء يبتهجون لفرحنا وعلى الرغم من أنّي كنتُ أُحَلّق فرحاً لكن كونها كادت أن توشك على البكاء شعرتُ بالأسى والحزن لحالها لكني قلت في قرارة نفسي:

أعتَقِدُ أنَّ الأمور كونها سارت بسرعة قصوى فهي تشعر بالحزن لذلك وتخاف ألا نتَّفق ولا تحبني لكن بعد مدة ستكتشف بحسن معاملتي أنها مخطئة لدرجة أنها هي التي ستطلب تحديد موعد الزفاف

لكن طيبة قلبي ونيَّتي الصافية كانتا سبباً في دماري النفسي لاحقاً.

قسمتي ونصيبي(الجزء الأخير)

مـــع الأســـف أحببتهـــا فقـــد شـــعرتُ وكأنهـــا اســـتوطَنَتْ أعمـاق قلبـي كنـتُ أراهـا مختلفـة عـن كـل البنـات اللـواتي رأيـتُهُنَّ بحيـاتي واعتَقَـدْتُ أنهـا سـتبادلني نفـس الشـعور بعـد أن نلتقـي مـراراً وتعرفنـي مـن الـداخل لكـن مضَـتْ بضـعة أشـهر لـم أَرَهـا سـوى بزيـاراتي لمنـزلهم وبكـل مـرة تجلـس معـي كانـت مُغَيَّبَـة الـذهن غيـر أنهـا تَجَنَّبَتْنـي كليـاً فـي الجامعـة واختَلَقَـتْ الأعـذار التـي لـم أجـد مبـرراً لهـا ممـا جعـل اليـأس يتسـرّب لـداخلي رويـداً رويـداً فذهبت إليها ذات مرة وقلت:

هل تَوَدّينَ أن أفسخَ الخطوبة؟!

فردَّت بذعر وتلعثم :

نعـم ! لا لا لـيس الآن أقصـد لمـاذا فلـم نتعـرَّف علـى بعضنا بعد .

وكيـفَ سـنتعرَّف إن كنـتِ تتجنَّبـينَ رؤيتـي بالجامعـة ولا أراكِ بمنزل عائلتك سوى ساعتين

هدأَت فجأة وردَّت بابتسامة خجولة:

نحــنُ الآن علــى أبــواب الامتحانــات دعنــا ننهيهــا الآن وستنتهي هذه الفجوة بيننا إلى الأبد

حلَّــقَ قلبــي بأرجــاء صــدري فرحــاً بمــا قالتــه وأيقَنْــتُ حينهــا أنهــا تُبــادلني نفس الشــعور فضــاعَفْتُ مجهــودي فــي الدراسة كي لا يُقال بأنَّ درجاتي انخفضت بسببها

ظهــرت النتــائج وكــان معــدَّلها جيــداً أمــا أنــا فكنــت الأول كالمعتــاد وأقمــتُ حفــلاً بمنزلــي دعــوت إليــه الأصــدقاء وفــي اليــوم التــالي دعوتهــا و عائلتهــا علــى العشــاء وقبــل أن تنتهي زيارتهم لنا قال أبيها :

ابــنكم شــاب لا يُعَيَّــب أدب وأخــلاق ولــن أجــد أفضــل منــه زوجــاً لابنتــي ولكــن المعــذرة مــنكم مــع أنــي أعلــم أنَّ ذلــك مــن حــق أهــل العــريس لكــن أودُّ أن يــتمَّ تحديــد موعــد الزفاف بعد أسبوعين

كــان كلامــه كالصــاعقة ضــرَبَتْ رؤوســنا فســاد الصــمت للحظات ثم قال أبي:

هذا من دواعي سرورنا

تعالت زغاريد أمي ولحقتها أمها فنظرتُ إليها وإذا بها خافضة رأسها بحزن كمن تمَّ ضربها وتوبيخها بشدة

كدتُ أن أُجَنَّ من الحيرة فلم أستطع معرفة سبب حزنها كونها استمرَّت بوضع مسافة بيننا حتى بعدَ أن تبَقَّى أسبوع واحد على حفل الزفاف

في المساء وقبل موعد الزفاف بيوم اتَّصل أبيها بأبي ففتح أبي مكبر الصوت فقال أبيها :

لا نصيبَ لكم عندنا وسنرسل كل الذهب والهدايا غداً

قال أبي بهدوء ما قبل العاصفة:

ما السبب؟!

ابنتي لم تُحِبَّ ابنك ولا تريدُ الزواج به وبعد أسبوع سنسافر خارج البلاد

بدأ أبي بالصراخ:

لعنة الله عليكَ وعلى تربيتك القذرة ابنتك هي التي طلبَتْ من ابني أن يخطبها ثم غيَّرَتْ رأيها

أغلق أبيها الهاتف دون أن يردَّ بكلمة وأنا مصدوماً لا أستطيع النطق ولا التفكير من صراخ أبي علينا ولأول مرة بحياتي بَكَيْت صعدتُ إلى غرفتي وانهالت دموعي وأنا أقول :

ماذا فعلتُ لها حتى تقوم بكسري هكذا ما هو الخطأ الذي ارتَكَبْتُهُ معها لقد أحببتها من كل قلبي وتوَقَّعْتُ أنها ستحبني

ومن تاريخ هذا اليوم بدأت معاناتي وانتهت بنفس تاريخ هذا اليوم

في صباح اليوم التالي أتى رجل تابع لشركة توصيل وأعطانا كل الأغراض .

ولأننا لم نستطع الاتصال بكل الأشخاص الذين دعوناهم لكي نخبرهم بإلغاء الزفاف زارنا الذين عرفوا عن طريق صالة الأفراح كي يسألوا عن السبب ولأني لم أستطع أن أخبر زملائي جمعوا بعضهم كوفد وأتوا لزيارتي

حاولتُ تمالك نفسي كيلا يظهر الحزن على وجهي لكن عندما تهامسوا عليَّ سقطت دمعتي عنوة عني وصعدتُ إلى غرفتي

لم أستطع حتى أن أتصل وأسألها لماذا كل هذا الغدر ألهذه الدرجة لم تستطع أن تتقَبَّلني حتى فضَّلَتْ السفر مع أهلها على الزواج بي ؟! ألهذا الحد أنا لا أُطاق

بدأتُ بالذهاب لعملي في التدريس بالجامعة فشعرتُ وكأنَّ زملائي قد نقلوا لطلاب السنوات الأولى خبر انفصال خطيبتي عني فرأيتُهم جميعاً كلما يروني ينظرون لي بشفقة ويتهامسون :

كم هو مسكين لقد انفصلَتْ عنه قبل الزفاف بيوم لكن يا هل ترى هل اكتشفَت أنَّ به سوء خلق لا يُطاق؟

لم يكن ينقصني سوى السمعة السيئة التي ترسَّخَت حتى بين أقاربنا فسمعتُ أمي تقول لأبي بأنَّ كل من زارنا قال لها:

هل حاول ابنكِ التقرّب منها بطريقة لا أخلاقية جعلها تنفصل عنه بهذا التوقيت ؟!

مرَّت سنة على ذلك اليوم الأليم وأنا كجثة متحركة من الجامعة إلى المنزل لا أقابل أحداً ولا أخرج سوى مع نفسي لحين أتاني اتصال من رقم مجهول بنفس تاريخ انفصالها عني أجَبْتُ باعتقادي أنه صديقٌ لي لكن عندما سمعتُ صوتها لم أستطع النطق بكلمة وهي تقول :

سامحني أنت إنسان لا مثيل لكَ وحينها لو لم أكن أحب الشاب الذي حدَّثْتُكَ عنه لكنتُ أحبَبْتُك لكنك كنتَ الحل الوحيد لآخذ حصتي من أملاك أبي وأهرب معه وأتزوَّجه وبعدَ أن تحدَّدَ موعد الزفاف أعطاني أبي كل حصَّتي كما وعدني فقد كان شرطه الوحيد هو زواجي

لم أجد من نفسي سوى أنني ضَحِكْتُ ضحكة هستيرية وقلت لها:

ولماذا تُخبريني الآن بهذا الكلام ؟!

أجهَشَت بالبكاء وهي تقول :

بعد أن تزوجت مِنَ الذي كنت أعتقده حبيبي نصبَ عليَّ ثم طلَّقني بعد أن قال :

إنَّ التي تخون أهلها سيأتي يوم وتخونني به وقبل أن تفعلي ذلك أنتِ طالق

ثم عرفتُ أنَّ أهلي سافروا خارج البلاد بعد هروبي بأسبوع ولأني لا أملك شيئاً سوى شهادتي استَطَعْتُ أن أعمل بها وأستأجر غرفة عند امرأة عجوز ولقد اتصلتُ بكَ لأني على يقين بأنَّ الذي مررتُ به كان عقاباً لي عما فعلته معك فأرجوكَ سامحني ولو كان هناك أمل من عودتي إليك لم أكن لأُضيعه مني فبكل الشهور التي قضيتها معك كنتُ أموت حزناً بسبب الذي سأفعله بكَ وأنت لا تستحق

أغلَقْتُ الاتصال بوجهها بعدَ أن شفاني كلامها من كل أوجاعي وندمتُ على الليالي التي قضَيْتها حزيناً بسببها فهي لم تكن تستحق أنْ تأخذَ ثانية من تفكيري وأدرَكْتُ أنَّ انفصالها عني كانَ به كل الخير لي وحمدتُ الله كيف كشَفَت نفسها أمامي وكم كنتُ محظوظاً لإنتهاء علاقتي بها

لـم تمضـي بضـعة أشـهر حتـى خطَبْـتُ زميلـة لـي بعـد أنْ أخبرنـي صـديقي الـذي لـم يُفارقـه لقـب الإذاعـة بـأنّ زميلتنـا رفضـت الارتبـاط بـأي شـاب تقـدّم لهـا حتـى بعـد أن يَئِسَت مني

لـم أصـدق كلامـه إلا بعـد أن تزوجتُهـا وأخبرَتْنـي أنَّ أغلب بنات دفعتنا كُنَّ معجبات بي .

لا أعلـم لمـاذا لـم أكـن أصـدق كـلام أصـدقائي بـأني شـاب محبوب وأعتبرُ كلامهم نوعٌ من السخرية أو المجاملة.

وبسـبب سـنوات التفـاهم والانسـجام التـي عشـتها مـع زوجتـي أدرَكْـتُ أنَّ قسـمتي ونصـيبي مـن الحـب سـاقه القـدر لأعيشـه بعـدَ تلـك التجربـة المؤلمـة فـي الوقـت المناسب ومع المرأةالمناسبة .

انتهت

****

* لأنها كانت وحيدة *

استيقَظَت من نومها مذعورة وهي تقول : أبي

مع مرور سنة كاملة على وفاة أبيها لكنها كانت تشعر دوماً وكأنَّ وفاته كانت بالأمس لم تستطع تجاوز ألم فقدانه فقد توفيَّ أمام عينيها بأزمة قلبية بعدما استيقظَ في منتصف الليل وهو يصرخ : أختنق هرولَتْ إليه بقلب كاد أن يخترق ضلوعها من هول ضرباته حاولَتْ أن تضغطَ على قلبه لعلَّهُ ضيقٌ عابرٌ في التنفس لكنها كانت أنفاسه الأخيرة لم يلبَسْ بضعَ دقائق حتى شَهَقَ النفس الأخير له في الحياة شعرَت وكأنَّ ما رأَتْه كابوساً فضرَبَت نفسها كفاً لعلها تصحو ثمَّ بدأَتْ باللطم وهي تصرخ : أبي .

ولأنها أتمَّت عامها الثامن عشر قبل وفاته بأيام استطاعَت أن تقوم بنقله إلى المشفى بعد أنْ أعطَتْ أجرة لرجال نظير مساعدتها إلى أن أتمَّت دفنه ولم يُساعدها الجيران ،كونهم كانوا يمقتون والديها لأنهما

غريبان لا يعرفان شيئاً عنهما بالإضافة إلى أنَّ علاقة والديها كانت مقطوعة بكل من حولهم.

تمنَّت لو كان معها أحد يقف بجانبها لكن لم يكن لديهم أقارب فقد تزوَّجَ والداها وسافرا منذ عشرون سنة وانقطعا عن أهليهما غير أنَّ لا إخوة لديها وأمها توفيت عندما كان عمرها خمسة عشر عاماً

بعد مضي شهر على وفاته انتبهَتْ أنَّ راتبها من العمل بمصنع النسيج لا يكفيها حتى لسد رمقها فقد أمضَتْ أياماً تنام بها جائعة كي تقتصد النقود لتناول الطعام قبل ذهابها للعمل لتستطعَ أن تقف على قدميها أثناء عملها

أصبَحَتْ تتحسَّر على أيام نامَت بها ومعدتها ممتلئة بالطعام والفاكهة فقد كان أبيها معلّم سباكة ماهر لا يتوقف عن العمل ليلاً ونهار كي يستطيع أن يؤمن حياة كريمة لابنته

بعد أن عَلِمَتْ النساء اللواتي يعَمَلْنَ معها بأنَّ أبيها توفي ولم يعد لها أحد في الحياة شَعَرْنَ بالشفقة عليها

ولـم يُقَـدّموا لهـا شـيئاً سـوى الأمنيـات بـأنْ يتحسَّـنَ حالهـا إلا واحدة اقتَرَبَتْ منها وهمَسَتْ في أذنها :

عنـدي لـكِ عـرض عمـل سـتجنين ببضـع سـاعات مـا يعادل شهراً كاملاً من العمل بالمصنع

اتسعت حدقتا عينيها من الدهشة وقالت بلهفة :

أخبريني بهِ أرجوك

ارتسمت ابتسامة صفراء على وجهها :

ستمضـينَ وقتـاً مـع الرجـال تـأكلين لحـد الشـبع وتشـربينَ وتمرحين وعلاوة على ذلك ستأخذينَ النقود

نظرت لها بدهشة عارمة:

ومـا الـذي يـدفعهم لـدفع نقـود مقابـل أن أمضـي وقتـاً معهـم ؟!

هنالـك رجـال يحبـون أن يخرجـوا لأمـاكن التسـلية برفقـة فتيـات صـغيرات أمثالـكِ يتبـاهون بهـنَّ وبجمـالهنَّ أي أنهـم رجـال مهمـا تقـدَّمَ العمـر بهـم سـيجدون فتيـات صغيرات يرافِقْنَهم

ولأنها صمتَت لحظات ولم ترد تابَعَتْ كلامها:

خذي وقتكِ بالتفكير وإنْ وافقتِ سأُدَبِرُ لقاءاً لكِ مع أول رجل وهذا كله عمل خير أقوم به لوجه الله مساعدة لكِ لا أكثر

لم تلبَثْ دقيقة بالتفكير فقد وافَقَتْ على الفور وتوسَّلَت لها أن يكون اللقاء بأقرب وقت

لم تفكر بالعواقب ولا التَبِعات التي ستترتب على خروجات كهذه فقد كان جُلُّ همها أن تجني نقوداً تستطيع بها أن تشتري طعاماً يكفيها وتنتهي الأيام التي نامت بها جائعة

مَضَى أوَّل موعد لها بسلام فقد نبَّهَت زميلتها الرجل الذي سيخرج معها أنها صغيرة ولا تعي هذه الأمور وفي الموعد التالي بدأ بتعويدها احتساء رشفة من المشروبات الكحو*لية أعقبها كؤوس ولم ينسى التدخين وكلَّ ذلك بعد أن يقول لها :

سيزداد إيرادكِ من النقود

تتالت الخروجات بضعة أشهر مما جعل سمعتها تسوء بين الناس غير نظرات الاحتقار والازدراء

قرَّرَ التمادي معها بعد أن رآها قد اعتادت على الأجواء وما إن اقترب منها وهمس بأذنها :

-ستمضينَ معي ليلة لوحدنا تجنين أضعاف خروجك معي بالأماكن العامة

لم تجد رداً سوى أن تصفعه بقوة أخرَجَت شراراً من عينيه

توعَّدها بالانتقام لتلك الصفعة فطلب من زميلتها التي كانت سبباً بمعرفته بها أنْ تزورها في بيتها كي تعرض عليها لقاءاً مع رجل آخر ثم تضع كيساً من المخد*رات كي يقوم بدوره ويُبَلّغ الأمن

فَعَلَت ما طلبه منها لقاء مبلغ مالي

داهمَت قوات الأمن منزلها وقامت بالتفتيش لتجد الكيس بكل سهولة

تمَّ زَجَّها بالسجن وكانت كالمُغيَّبَةِ عن وعيها لم تعي ما الذي واجهته وكأنه كابوس

أمضت سنة بالسجن تحلم يومياً بليلة وفاة أبيها وتتحسَّر على وفاته لحين دخلت السجن امرأة غنية استطاع منافسيها في العمل تلفيقَ تهمةٍ لها فلَفَتَت انتباهها عندما رأتها طفلة بين نساء عليهن شتّى أنواع التهم

لم تتردد بسؤالها عن سبب حب*سها ثمَّ أخبرتها القصة كاملة لأنَّ المرأة الغنية كان لها نفوذ استطاعت أن تُخرِجَ نفسها مثل الشعرة من العجين وأوكَلَت نفس محاميها ليخرج الفتاة ثم أخذَتها لتعيش معها في منزلها

لم تكتفِ بذلك بل استطاعت أن تصل لزميلة الفتاة بالعمل واستدراجها لتعمل عندها وبمساعدتها استطاعت أن تُلَفّق نفس التهمة للرجل ثم اتهمتها بالسرقة

شعرت المرأة الغنية بأنَّ عقابها لهما داوى جروحها فقد عانت من الظلم منذ طفولتها عندما كان يُعَنّفها أبيها إلى أن زوَّجَها برجل فاحش الثراء بعمر جدها

عاشت الفتاة بعدما كانت وحيدة تحت كَنَف تلك المرأة الغنية بسعادة وراحة لا مثيل لها فقد أحضَرَت لها أساتذة إلى المنزل لتعليمها فنالت الشهادة الإعدادية أعقبها الثانوية وعندما أنهت دراستها الجامعية توفيت تلك المرأة الغنية لتجد أنها قد كتبت كلَّ ميراثها لها كونها لم يكن لها أولاد .

انتهت

****

* الغيرة *

يُحكى أنَّهُ كانَتْ توجدُ زوجةٌ تُعاني من عدم الإحساسِ بالغيرةِ تجاهَ زوجها على الرَّغمِ من أنَّه طليقُ اللسانِ مع النساءِ لا تَسْلَمُ امرأةٌ من مُجاملاتهِ واطراءاتِه فقد كانَ يُحاولُ جاهداً أن يُحيي ذلكَ الشعورَ الميتَ بداخلها

بعد أنْ باءَتْ محاولاته بالفشل وقبْلَ أن يستسلم قابَلَتْهُ امرأةٌ بعمله كما يُقالُ عنها أنَّ قطارَ الزواجِ قد فاتَها فَرَأَتْ به الطائرةَ التي ستُلحِقَها بالقطار أُعْجِبَتْ بِخِفَّةِ ظِلّهِ وانتقاءِه لكلماتِ الإطراءِ والمجاملة فعَرَضَتْ عليهِ الزواجَ بدون أن تُكَلّفَهُ أيَّ شيء فلم يَعُدْ أحدٌ يتقدمُ لها بعدَ أنْ رَفَضَتْ كلَّ من تَقَدَّمَ لخطبَتِها لاعتقادها أنهم يطمعونَ بمالها الذي وَرِثَتْهُ عن أبيها كَوْنَها متوسطةَ الجمالِ فأصبَحَتْ تُريدُ رجلاً لو كانت زوجةً رابعةً له

وافقَ بدونِ تَردُّد لأنهُ رأى أنَّ فرصةَ جعلِ زوجته تغارُ عليهِ قد وصَلَت إليه بدون أي عناء وبعدَ أنْ تَمَّ

الـزواج أخـذَ زوجتـه الثانيـة لتُقابـل الأولـى ووقـف أمامهـا بكل فخر واعتزازقائلاً:

هـذه زوجتـي الثانيـة والأخيـرة ولـم يسـبق لهـا الـزواج هـل ستشْـعُرينَ بـالغيرةِ منهـا أم يجـبُ أن أزيـدَ عليهـا واحدةً أخرى؟!

حاوَلَـت تمالـك نفسـها واحتبـاس دموعهـا لكـن سـقطَتْ بضـع قطـراتٍ رغمـاً عنهـا ولـم تُبـالي بوجـودِ زوجتـه ثـم قالت له :

لقـدْ كنـتُ أثـقُ بـكَ وبإخلاصـكَ ممـا جعلنـي لا أرى داعٍ للغيـرةِ عليـك وإنْ كنـتَ تعتقـدُ أنـكَ السـلطان الـذي ستشُـنُّ نسـاؤه حربـاً لأجـلِ امتلاكـه فأنـتَ مُخطِـئ فلـن أتغيَّـرَ لأجلك بل سألتقي برجل يُقدّر الثقة ويكونَ أهلاً لها .

ثـم غـادرَت المنـزلَ بعـدَ أن طلبَـت الطـلاق وعلـى الـرغم مـن أنـه حـاول جاهـداً أن يُعَرقِـلَ ذلـك لكنهـا حصـلَتْ علـى الطـلاق فـي نهايـة المطـاف وتزوَّجَـتْ رجـلاً قَـدَّرَ ثقتهـا وتَعَلَّـقَ بهـا بعـد أن عـانى مـن غيـرةِ زوجتـهِ السـابقة لوسـامتهِ وامكانياتـهِ الماديـة المرتفعـة فطلَّقهـا لأنـه كـانَ

يـرى أنَّ الغيـرةَ تعنـي الشـك والشـك يعنـي أنـه خـائن فلـم يحتمـلْ فكـرةَ أن يعـيشَ مـع امـرأةٍ تخشـى خيانَتَـهُ لهـا بـأي لحظة.

أمـا طليقهـا فقـد أمضـى بضـعَ سـنواتٍ يتحَسَّـرُ علـى أيامهـا بعـد أن عـاشَ مـع زوجتـه الثانيـة التـي لا تتوقَّـفُ عـن الشَّـكِ حتـى بنظراتِـه وملاحَقَتِـهِ لمكـانِ عملـه خشـيةَ أنْ يتعـرَّفَ علـى غيرهـا كمـا تعـرَّفَ عليهـا فقـد فَرِحَـتْ بطـلاقِ زوجتـهِ وأحَبَّـت أنْ تبقـى امـرأةً وحيـدةً لـه وبعـدَ أن زادَت تضـييق الخنـاقِ عليـه طَلَّقهـا وأمضـى بقيـةَ حياتهِ عازباً .

انتهت

****

قصة قصيرة

سأَلَتْ امرأةٌ شقراءَ زوجها ذات ليلة:

لـو خيّـروكَ بينـي وبـين جـوهرةٍ لهـا لـونٌ آخـر مـاذا ستختار؟

(تقصدُ امرأة تملكُ لونَ شعرٍ غيرَ شعرها)

فأجـاب مازحـاً: مَـن نَظَـرَ إلـى اليـاقوت الأصـفر اللامـع صُبحاً ومساء فحتماً ستزيغُ عيناهُ لألوانٍ أخرى

شـعرَتْ بـالحزن مـن كلامـه فبَكَـتْ كالمعتـاد ثـم قالـت فـي قرارة نفسهاسأجعلكَ تشتاق إلي

عـاد فـي مسـاء اليـوم التـالي ووجـدَ أنَّ شـعرها أصـبح بنـي فـاتح اللـون فأُصـيبَ بصـدمة عارمـة كـونَ شـكلها ولأول مرة قد تبدَّل بشكل كلي فقال لها:

لـونٌ جميـل لكـن مـا بـكِ عابسـة هكـذا ؟! فأنـا لـم أعتَـد عنـد عودتي إلاّ أن أرى ابتسامتكِ تأخذ عرضَ وجهك

فقالت له وهي تحاول أنْ تخفي ابتسامتها:

أثبَتَتْ الدراسات الحديثة أنَّ صاحبات الشعر البني مزاجُهُنَّ يميل إلى الانزعاج دوماً والعبوس لا يُفارق وجْوهَهُنَّ حتى لو لم يكن هناك ما يدعو إلى الانزعاج.

كادت جفونه أن تتمزّق مما سمع وشفتَّه السفلى كادت أن تُلامس الأرض فانعَقَد لسانه وذهب إلى النوم

مضَتْ ثلاثة أشهر لم يرَ ابتسامتها يوماً

وذات ليلة عاد من العمل وكان شعرها أسود قاتم فرأى كأنها امرأة مختلفة عن المرأة التي قبلها لكنه شعر براحة عندما رأى ابتسامتها وما إن ألقى تحية المساء عليها حتى قالت بابتسامة عريضة:

عزيزي أودُّ الذهاب غداً لشراء خاتم ذهب هدية لأمي بعيد ميلادها وبنفس الوقت أريد أن أشتري خاتماً لي

نظر لها والصدمة تعلو وجهه:

لكنكِ لا تُحبين صرف النقود على الذهب أو حتى الهدايا غالية الثمن غيرَ أنكِ لا تشترينَ قطعة ثياب لكِ إلا كل سنة

فردَّت بابتسامة عريضة:

عزيــزي ألا تعــرف أنَّ الدراســات العلميــة الحديثــة قــد أثبَتَـتْ أنَّ النســاء اللـواتي شـعرهُنَّ أسـود يعشَـقْنَ صـرف النقود حتى على أشياء لا قيمة لها

أدار وجهه واتجه إلى النوم بدون أن ينطق بكلمة

مضــى شــهران طلبَــت بشــكل شــبه يــومي نقــوداً كــي تشتري كل ما يحلو لها بدءاً من الأشياء التي تتعلق بها انتهــاءاً بأثــاث منزلهــا وإن أخطــأ ورفــض إعطاءهــا النقود كانت تمضي بضعة أيام عابسة الوجه

وذات ليلــة حالفــه الحـظ وعـاد مـن العمـل قبـل أن تصـبغ شـعرها للـون آخـر وتضـيف صـفة جديـدة لا يحبهـا ومـا إن رآهــا حتــى هــرول لهــا قــائلاً:عزيزتي أرجــوكِ عــودي كمـا كنـتِ لقـد اشـتقتُ للمعانـكِ وأعـدكِ ألا أتضـايق عنـدما تبكين من كل كلمة أقولها لكِ.

انتهت

****

قصة بعنوان صحوة امرأة

كانت طفلة لا تعي شيئاً سوى المرح واللعب خاصة بيوم الإجازة الإسبوعية في الزيارات العائلية المتبادلة لمنزل عمها فتقضي يومها كالنحلة النشيطة مع ابن عمها الذي يكبرها بضع سنين لتصل لنهاية اليوم منهارة القوى تتلهَّفُ لعناق الوسادة ومضت طفولتها لتكبر فجأة وتخفق ضربات قلبها نحوه فقد رأته رجلاً بغمضة عين فباعدت المراهقة بينهما ليكتفيا بالجلوس والحديث كالكبار

وذات مرة داعبتهما والدتها قائلة :

ابنتي حليب ونادر شوكولا

فردت أم نادر وهي تحاول كتم غيظها :

وإن يكن فالرجولة كلها لذوي البشرة السمراء

حرك ذاك الموقف فؤاد نادر نحو مها فلا ينقص الرجل صاحب الهمة سوى امرأةً جميلةً تُكمِلُ رجولته أمام الناس وما أجمل أن تجتمع الأنوثة مع القرابة!

فوضع هدف الزواج منها أمام عينيه وحتى عندما قُضِمَ ظهره بوفاة والده لم تثنيه تحمل مسؤولية أخيه الصغير إلى جانب أمه عن سعيه الزواج منها فأصبح يصل نهاره بليله في العمل ليعود آخر الليل وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة قبل أن يغط في نوم عميق

وعندما رأت أمه معاناة ابنها قررت العمل كمدبرة منزل وطاهية في بيوت الأغنياء واستمرنادر في العمل بورشة تصليح السيارات التي ترعرع فيها وبعد مضي ثلاث سنين استعد لطلب يدها وحيث أن أبيها كان في بلاد المغترب لا يلقى ابنتيه وزوجته إلا عندما تتفتح الزهور كل عام ،طلب يدها من خالها وأمها فحلق قلبها بأرجاء صدرها وأقام احتفالاً مع أحشائها وبعد أن وافقت على طلب نادر وأمه أن تترك الدراسة حددوا موعداً لحفل الخطوبة ولضيق حاله المادي اكتفوا بخاتم صغير فكان بعينيها يعادل ما يحتويه محل الصاغة فهو من حبيبها كامل الرجولة ذو البنية العضلية

وبعد تمام الخطوبة بشهرين تم تحديد يوم الزفاف فارتدت مها ثوب أحلامها وبوجه الطفولة الأبيض كنقاء الغيوم صباح يوم ربيعي ضاحك مع عينين ترقصان فرحاً بلون سماء زرقاء خطفت قلوب المدعوين مع أنظارهم وكانوا يستهجنون تلك الزيجة اللامنصفة بحق الملاك البريء فقد كانوا يعلمون أنها وقعت ضحية بين مخالب أم زوجها لأنها كانت تشتهر بالمكر غير أن عشق نادر لها جعله ورقة بين يديها تشكّله كيفما تشاء

بعد أن تحقق حلمه بوضع الدمية البيضاء في منزله أزاح جبل التفكير عن كاهله لتستبيح أمه استعبادها بذوق رفيع

لم يمض أسبوعين على زواجها وبدأت أم نادر بإشعال لهيب المشاكل بينهما كثعلبة قديرة تحاول تأجيج الخلافات ببضع كلمات بدون أن تُشعِر ابنها أنها تَحُضُّه على الخلاف مع زوجته كأن تعود إلى المنزل منهكةً آخر المساء وتغرق في المطبخ محاولة أن

تنظف جدرانه وكأنها تريد أن تَخلُقَ لوناً جديداً له مما يجعل نادر يشتعل غضباً من مها وينفجر بوجهها قائلاً:

لو أنَّ أمكِ علمتكِ النظافة لما أُنهِكَتْ أمي من التنظيف داخل المنزل وخارجه

لكن مها كانت تصمت والألم يعتصر حنجرتها من البكاء الصامت ورويداً رويداً تملَّك الحزن قلبها ولم تعلم كيف ستتعامل معهما ليزيد أخا زوجها نهر دموعها ويطلب منها الطعام والشراب وغسيل ثيابه وكأنها جاريته وبعد أن فاض بئرأحزانها لم تستطع كتمان ما أرهق قلبها فقررت اللجوء

لأمها لعلها ترشدها لما تفعل ولأنَّ أم نادر كانت قد قلَّصت الزيارات الإسبوعية لتجعلها شهرية بحجة عملها ولرفضها القاطع أن يزور أحد منزلها بغيابها لم تجد مها أي فرصة للحديث مع أمها فلم تجد منقذاً لها سوى أختها الصغيرة فبرغم أنها كانت تصغرها ببضع سنين لكن عقلها كان موازياً للبالغين فقامت بتشجيع مها على خلق شخصية لها أمامهم ولم تخبر

أمها عما قالَتْهُ كي لا تصيب فؤادها بالحزن على حال ابنتها .

لم يعد يفارق لسان مها قولها الدائم لأم زوجها :

فلتتركي العمل يا أماه كي تعلميني الأعمال المنزلية فمن الواضح أنك أمهر من أمي

لتكتفي حماتها بالصمت بعد أن تقول لها:

ألن تكفي عن ذلك؟! فأنا لن أترك العمل لأن وضعنا المادي سيتدهورغير إن أتى ولد لابني فستزيد الأعباء عليهمما جعل أم نادر تشعر أن مها ترغب أن توسوس لابنها كي يفتعل المشاكل معها ويجبرها على ترك العمل فازداد هوسها بافتعال المشاكل بينهما كي لا تجعل متنفّساً لمها مع ابنها وبعد أشهر من جلسات قمر لغسيل دماغ أختها استطاعت أن تبدّل حالها كلياً فأعادت الروح للسانها الذي لم يعد يصمت عن أي شي تتصرف به حماتها مما جعل الدم يغلي في عروق وجه نادر وخشية أن يكسر ضلعاً من ضلوعها بلا وعي كان يرميها بمنزل أمها كخرقة بالية وهو يقول لها تلك

نتيجة تربية المرأة لتعيدها أمها بعد بضعة أيام بكل ود ومحبة معتذرة عن ابنتها كي لا تهدِمَ منزلها و تحافظ على القرابة بآن واحد ولم يمضِ بضعة أشهر حتى حملت مها بأول مولود لها فقفز قلب نادر وحملها بين يديه حفاظاً على مشاعرها وكاد أن يقوم بأعمال المنزل كي يمنع أمه من إجهاد نفسها .

حاولت أمه كتم غيظها من تبدّل حال ابنها فكانت تطرق مسامع مها كل شهر قائلة:

أنا أريد ذكراً يحمل اسم ابني وأتمنى ألا تكوني كأمك تجلبين الإناث

لم تستطع الطبيبة أن تعرف جنس المولود فلم يكن منهم سوى انتظار يوم الولادة الذي كان أسوأ يوم بحياة مها فلم تكف أم نادر عن الصراخ قائلة :

لقد ولدتي أنثى وسوداء ؟! كان يجب أن أعلم أنك كأمك تجلبين المصائب لكن عندما وصلت أمها أزاحت شبح الحزن وأضافت الضحكة بصحبة قمر التي لم يقف لسانها لحظة وهي تقول لنادر مازحة:

وكأنهـا نسـخة منـك ؟! أعطسـت فأنجبـت أختـي نـادر الصغير!فأشـعلَتْ نـار الغـيظ بقلـب أمـه عنـدما سـمعتها فردت عليها محتدة:

لكن ابني جميل فهو ذكر

مـع محـاولات قمـر بالشـرح لهـا أن الانثـى بوقتنـا الحـالي كالـذكركانتا أذنيهـا ترتـديان وشـاح الصـمم وبعـد مـرور الوقـت عنـدما رأى نـادر أن أمـه دائمـةَ العبـوس أصـبح يشـعر بالضـيق مـن مهـا وتـدريجياً أصـبح يسـاند أمـه بافتعـال المشـاكل معهـا احترقـت سـنة مـن حيـاة مهـا وهـي تفـتح عينيهـا علـى مشـكلة وتغلقهمـا علـى أخـرى لحـين بـان حملهـا بـذكر فارتسـمت البسـمة علـى وجـه أم نـادر وباتـت تخـاف عليهـا مـن الهـواء أن يزعجهـا وعنـدما أتـى يـوم الـولادة أقامـت احتفـالاً دعـت إليـه الأقـارب وأظهـرت كرمـاً لـم يعهـدها أحـد عليـه قـط فقـد قـدمت الطعـام والشـراب والفاكهـة والحلويـات وكأنهـا هـي التـي رزقـت بالمولود.

عاشـت مهـا سـنتين وكأنهـا ملكـة يرعاهـا زوجهـا وأمـه نفسـياً وجسـدياً لحـين أصـيب ابنهـا بالسـرطان فمنـذ ذلـك

اليـوم المشـؤوم بـدأت أم نـادر تصـب حمـم غضـبها علـى مهـا وتتهمهـا أنهـا السـبب بـذلك حيـث أنهـا لـم تكـف عـن تنـاول الطعـام الجـاهز والمعلبـات والمشـروبات الغازيـة بأشـهر حملهـا بـه فـرأت أن الطعـام كـان سـبباً بالسـرطان لابـن ابنهـا ووسوسـت بـذلك لابنهـا بعـد أن انهـارت آمالـه التـي علقهـا علـى وحيـده وبتحـريض مـن أمـه بـات صـباح مهـا ومسـاءها صـراخ منـه علـى أتفـه الأمـور ولا يتوقـف عـن أن ينهرهـا ببضـع كلمـات وينفض الغبـار عـن جسـدها ببضـع ضـربات ولكمـات لحـين انفجـرت وباتـت تفـتح البـاب وتـذهب غاضـبة لمنـزل أمهـا دون أن تعلمـه فتضـطر أمهـا فـي كـل مـرة أن تعيـدها لزوجهـا خانعـة الـرأس لحـين جاءهـا اليـوم الـذي طالمـا خشـيته فقـد ازدادت حالـة ابنهـا سـوءاً ونقلـوه إلـى المشـفى ففـارق الحيـاة بعـد يـومين عاشـت أسـابيع لـم تحصـها حبيسـة الاكتئـاب يحـاول عقلهـا اسـتيعاب أن قطعـة مـن قلبهـا دفنـت تحـت التـراب وبكـل يـوم يمضـي كانـت تقـول لهـا حماتها بضيق:

استعيشي اليوم أيضاً بقناعك الحزين؟ لقد ارتاح من عذابه وارتحنا

بدأ نادر وأمه يحضانها على الحمل مرة أخرى متجاهلين ابنتهم التي زينت المنزل بذكائها وضحكتها فأصبح جل اهتمامهم ذكر آخرفلم تعارضهم خشية أن ينقلبا عليها كالسابق لكن عندما أنجبت فتاة تلو الأخرى بصحة تامة تمنت أم ماهر لو تصاب إحداهما بسرطان كي تفسح مجالاً لذكر آخر فلم يعد يسمح الوضع المادي لهم بولد آخر مضت السنوات وكبرت الفتاتان ليتزينان بالجمال كطفولة أمهما

بعد كل مشكلة كانت تذهب غاضبة لمنزل أمها وتترك ابنتها الكبرى عائشة في المنزل كي تعتني بأخواتها

و بكل مرة تعود إلى المنزل كانت تُفرّغ غضبها وضيقها من زوجها وأمه بابنتها الكبرى التي كانت تكلمها باشمئزاز كجدتها مما جعل أم نادر تتعاطف معها وتحبها بسبب معاملة مها لها مضت السنوات ولم تحتمل مها تلك الحياة المليئة بالخلافات والمشاكل فرغبت بالتنفس للعمل بمحل لتجميل السيدات ومع

رفض زوجها القاطع ذهبت لمنزل أمها أياماً دون أن تعود من تلقاء نفسها بعد يومين كما اعتادوا عليها مما جعل أم نادر تقرر أن تذهب بجلالتها كي تعيدها خشية أن يجبر نادر ابنته عائشة على ترك الدراسة للاعتناء بأخواتها فقد حلمت أن يجعلها تفوقها طبيبة في المستقبل لتتباهى بها فهي على اسمها الذي أعطاها الذكاء

دخلت أم نادر بقناع الطيبة ومحاولة ترميم الذي انهدم بين ابنها وزوجته فاستقبلتها مها والبركان يشتعل بداخلها فاستغلت انكسارها الذي لم يعتد أحد عليه وطلبت منها منزلاً مستقلاً عنها وعن ابنها لتتربع ملكة وحيدة في منزلها مع بناتها فلم يكن من الثعلبة القديرة سوى قبول طلبها فقد كانت تفكر أن عليها تزويج ابنها الصغير فأصابت بذلك عصفورين بحجر واحد

ولأنها لن تسمح لابنها الكبير بالابتعاد عنها كثيراً فباعت المنزل الكبير واشترت اثنين لتجعل ابنيها جارين متلاصقين وسكنت مع الأصغر لتستطيع التحكم بزوجته أيضاً لكنها لاقت الصدَّ منها ولم تستطع فتح

فاهها كيلا تتسبب لابنها بمشاكل مع زوجته لأنه كان لا يحتمل الخلافات إطلاقاً فعند كل مشكلة كانت تحصل بينها وبين مها كان يحمل أغراضه ويترك المنزل أياماً دون أن يخبرهم بمكانه فيشتعل قلبها قلقاً عليه لتعلقها به فخشيت أن يغضب منها ويتركها مع زوجته ويرحل بلا عودة

عادت لتفريغ غضبها من زوجة ابنها الأصغر بمها وأعادت فرض شخصيتها السابقة عليها فعادت المشاكل تزداد لهيباً فازدادت علاقتها بنادر سوءاً وأصبحت تقضي أيامها بمنزل أمها أكثر مما دفعها لمعاودة العمل وتقديم أوراقها للدراسة فتركت أم نادر العمل وجلست ترعى بنات ابنها فهددها نادر بتطليقها وحرمانها من بناتها إن لم تعد ولأن ذلك ليس تهديده الأول فلم تكترث له ومع وسوسة أمه صباحا ومساء :

إنَّ صحتي لم تعد تسمح لي الاعتناء بأطفال تزوج من ترعى بناتك وارفق بشيخوختي بين ليلة وضحاها قرر حرق فؤادها وأصر على عدم مراضاتها فتزوج عليها

وأحضر زوجته للمنزل بصفتها أم جديدة لهم كي تعود مها إليه من تلقاء نفسها خانعة الرأس كالمعتاد

تلقَّت الخبر كالفاجعة مما جعلها لا تطلب الطلاق أو تحرك ساكناً بل ضاعفت جهدها بالدراسة والعمل ونجحت بشهادة التعليم الإعدادية لكن روحها انهارت فقد حرمها من رؤية بناتها أشهراً فجمعت فتات قلبها وأشلاء روحها وعادت إليه راضخة لأوامره لم يمض يوم واحد بسلام فقد احترق المنزل من لهيب المشاكل والخلافات المتصاعدة لتأجج أم نادر النار بوقوفها بجانب زوجة نادر الثانية ضد مها دائماً لتظهر لأبنها أنها لاتطاق وعندما انهارت قوى مها نظرت إليه بعينين مغرورقتين بالدموع :

أرجوك أعطني بناتي وأعطني حريتي

نظر لها بابتسامة صفراء :

تريدين الطلاق كي تنحرفي بين عملك ودراستك وتعلمي بناتي الانحراف؟!

فصمت لبرهة ثم قال:

لـك مـا شـئت لكـن بـدون البنـات ولـن تـريهم البتـة طـوال حياتـك فتخلـت عـنهن فقـد كـان بنيتهـا أن تُـدخَلَ أفـراداً مـن عائلتهما وسطاء لإقناعه أن يعطيها بناتها .

لكنــه استشــرس ورفــض بشــتى الوســائل وقطــع حبــل القرابــة كليــاً بمــن دخــل وســيطا لصــالحها وبــدأ مــع أمــه بالوسوسـة لبناتـه أن أمهـنَّ قـد تخلـت عـنهنَّ لتعـيش حياتهـا سـعيدة بـدونهنَّ ومـع نجاحهـا بالثانويـة العامـة ودخولهـا الجامعــة ازداد غيظــه منهــا وتمســكه بحرمانهــا مــنهن وأصــبح يضــيق الخنــاق علــى زوجتــه الثانيــة أكثــرفلم تستطع الصـمت كمهـا فـانفجرت بوجهـه بكـل مـرة يوبخهـا ليضـربها مـرة تلـو الأخـرى فطلقـت نفسـها منـه عـادت أمـه للاعتنـاء ببناتـه لكـن وبعـد بضـع أيـام تعرَّضـت لأزمـة قلبيـة فنقلوهـا إلـى المشـفى بحالـة إسـعافية ممـا جعـل عقلـه يتوقـف عـن التفكيـر فأخـذَ بناتـه لأمهـنَّ لحـين تحسـن وضـع أمـه حلـق قلـب مهـا بأرجـاء صـدرها ولأول مـرة شـعرت أن الـدنيا تضـحك لهـا فانشـحنت روحهـا بالسـعادة وبـدأت بسـيل مـن المحـاولات أن تعيـد حبـال الـود بينهـا وبـين بناتهـا فأوقفـت دراسـتها وجعلـتهن يرافقنهـا كظلهـا أينمـا

ذهبت لكن ما زُرِعَ بداخل رؤوسهن جعل فؤادهن يعرض عن تقبل محاولاتها لدرجة أنهن لم يقدرن على مناداتها بأمي فاستعانت بأختها التي أصبحت يومياً تعود من عملها لتطفئ طاقتها آخر اليوم وهي تلعب معهن وتخلق جوا من المرح فاستطاعت سحب روح البغضاء التي شُحِنَّ بها ليمتَزِجنَ مع أمهن تدريجياً مما جعل طيبة قلبها تحثها على الذهاب لزيارة جدة بناتها فقد ازدادت حالتها سوءاً بعد عملية القلب المفتوح التي أجروها لها وأخذت بناتها معها وما إن رأتها أم نادر حتى تساقطت دمعة من عينها التي لم تعرف البكاء قط وعاش ضميرها لأول مرة ليؤنبها على ما اقترفت بحقها فلم تصدق أنه برغم الحجارة اللفظية التي رشقت قلبها بها طوال تلك السنين أتت للاطمئنان عليها فحضنت يدها وقالت بعينين مغرورقتين بالدموع :

سامحيني يا ابنتي

وقبل أن تنطق بكلمة واحدة ردت مها قائلة :

لا عليك يا أمي لا تتعبي نفسك بالكلام فقد سامحتك من كل قلبي

قبلت أم نادر يدها وتنفست الصعداء وبعد أن ذهبت أتى نادر للاطمئنان على أمه فأخبرته أن مها قد أتت لرؤيتها مع البنات وانهارت دموعها وهي ترجوه أن يعيدها زوجة له

كي تكفر عن سيئاتها معها بعد أن تخرج للمنزل وتستعيد صحتها فرحب نادر بقولها وبعد يومين حاول فيهما دفن نادر القديم وهو يعيد التفكير بسنوات حياته التي ظلم فيها ابنة عمه بلا تفكير مما جعل فؤاده ينبض ولأول مرة حباً لرفيقة دربه التي تحملت قسوته بدون أن تغلط بحقه مرة لكن وفي صباح اليوم الثالث وقبل أن يتحدث معها فارقت أمه الحياة فتمزق قلبه أشلاء وصرخت روحه من الألم فلم يحتمل فراقها ولا الشوق الذي عاناه بغيابها فشعر بالألم الذي سببه لمها عندما حرمها من بناتها فزحف إليها بعد الدفن يرجو عفوها لتعود إليه نظرت إليه بعينين دامعتين وصمتت لحظات بعد أن طاحت بنظرها أرضاً فقد شعرت أن

اعتذاره نابع من فراغه بعد وفاة أمه ولكي يضمن أن تعتني ببناته تحت جناحه ،فاعتصر الخوف قلبه أن ترد بالرفض وحيث أن بناتها كُنَّ يسترقْنَ السمع خلف الباب أيقنوا أن اعتذار أبيهم دليل على خطأه مع أمهم فهرولْنَ إليها بصوت واحد :

أمي أمي وافقي وافقي

كانت كلمة أمي كفيلة بإنعاش قلبها من جديد فاحتضنتْهُنَّ والدموع تملأ عينيها ونظرت له بابتسامة حزينة ثم قالت : أعطني مهلة للتفكير

وبعد تفكيرطويل أيقنت أنها لم تعد تحبه كالسابق فاتصلت به ودعته ليسمع قرارها ثم اشترطت عليه أن يدعها تكمل دراستها الجامعية وأن تعمل بعد ذلك بشهادتها فلم يتردد بقبول طلبها برهة فعادت إليه لتبدأ حياة جديدة مع بناتها بجو من الألفة والود الأسري الذي طالما افتقدته وبعد أن خلق منها مها أخرى زرعت برأس بناتها أن العلم وشهادة الفتاة أهم من أي شيء في الحياة ولن يبقى لهن غيره فحتى الحب الذي يسمعن عنه يمكن أن يذهب هباءاً منثوراً فشجعتهُنَّ

علـــى مضـــاعفة جهـــودهن بتحصـــيلهن الدراســـي إلـــى أن رأتهن في أعلى المراتب العلمية

انتهت

****

* قصة تَحْمِلُ فى طيَّاتها عِبْرَة *

أحبَّتْـهُ منـذُ أن التقَيَـا فـي الجامعـة وكـان كالحـب الـذي يُقـرَأُ فـي الروايـات حـبٌّ مـن أول نظـرة ومتبـادلٌ بـينَ البطلـين أغـرقَ البطـلُ حبيبَتَـهُ طـوالَ تلـكَ السـنينِ بكلمـاتِ الغـزلِ غيـر اهتمامـه بهـا وخوفـهِ عليهـا كمـا تخـافُ الأم علـى وليـدها ويتضـاعفُ ذلـك الاهتمـامُ فـي الشـتاءِ فكـانَ يتملَّكَـهُ القلــقُ دومــاً أن يمسَّــها الهــواءُ البــاردُ ويــتمكَّنَ منهــا المـرض فتقـعُ طريحـةَ الفـراشِ بضـعةَ أيـامٍ فيُحْـرَمُ مِـنْ رؤيتِهـا وكـانَ أكثـرَ مـا يُعجِبُهـا بِـهِ إلـى جانـبِ اهتمامـهُ غيرتَـهُ عليهـا فقـد كـان يُشْـعِرُها دومـاً أنَّهـا مَلِكَتُـه حتـى حـق النظـر إليهـا لـه وحـده ولـم تكـن تشـعرُ بالضـيق مـن ذلك لأنَّ غيرتَهُ كانت محدودةً فلم يبالغ قط .

مـا إنْ تَخَرَّجَـا حتـى تزَوَّجـا وقـرَّرا أن ْ يؤسسـا حياتهمـا يـداً بيـد وبـرغم أنهـا تزوجَتْـهُ بمنـزل عائلتـه فلـم تمنـع المصــروف الشــهري الــذي تقتَطِعَــهُ مــن مرَّتبهــا عــن عائلتهـا فكـوْنَ أبيهـا كبيـرٌ فـي السـن كانـت تُخَفّـفُ عـبءَ الحيــاة عنــه بــدون أن تُشــعِرَه عنــدما تعطــي لأمهــا

مصـروفاً شـهرياً بيـدها وكـان أكثـرَ مـا يحبُّـه بهـا أنهـا مَرْضـيَّةٌ لوالـديها مثلَـهُ فقـد جَمَعَهُمـا إلـى جانـبِ الحـب الخُلُقُ الحَسَنْ .

بـأول زواجهمـا قـرَّرا أن يُـؤجِلا الإنجـابَ سـنتين أو ثـلاث سـنينَ كحـدٍ أقصـى كـي يؤسسـا حيـاةً تليـقُ بمولودهمـا ولا يحرمانِـهِ مـن أي شـيء يريـدهُ فقـد كـان منـزلُ والديـه قـديمٌ بعـض الشـيء حتـى بأثاثـهِ وأدواتـهِ الكهربائيـة لِكَونِـه متوسّـطَ الحـالِ كعائِلَتِهـا وبعـد مضـي سـنة ونصـف مَـرِضَ أبيـهِ وأصـبحَ يحتـاجُ غسـيلَ كِلـى بشـكل دوري وهمـا وقبـلَ تلـك المـدة لـم يجنيـا شـيئاً فـالوارد كـان يسـاوي الصـادر فمضَـتْ خمـسُ سـنينَ وموضـوعُ الأطفـالِ مُلغـىً من قاموسهما

بعـدَ أنْ رأَتْ كـل صـديقاتها اللـواتي تـزَوَّجْنَ بعـدها يحيَـيْنَ حيـاةً زوجيـةً تليـقُ بملكـاتٍ وأنجَـبْنَ أطفـالاً وهـي تَحيـا حيـاةَ الجَـواري أصـبَحَتْ تشـعرُ بالسَـخَطِ مـن حياتهـا ولـم تعـد تـرى باهتمامـه بهـا وغيرتـه عليهـا التـي لـم تتغيـر أبـداً سوى أنها إزعاجٌ وضَجَرْ

أمـا صـديقاتها فقـد أصْـبَحْنَ يَشْـعُرْنَ بالشـفقة علـى حالهـا ويُعطيْنَهـا كـل ملابِسِـهِنَّ التـي مَلَلْـنَ ارتـدائها بعـدَ بضـعِ مـرات ولأنَّهـا كانـت تتـأَفَّفُ دومـاً مـن ملابسـها الرخيصـة الـثمن التـي ارتَـدَتها مـراراً وتكـراراً كانـت تأخـذُكـل مـا يُعطيْنَـهُ لهـا كونَهـا تعتَبِـرُهُنَّ كأخواتهـا ،ولـم تكـن تأْبَـهُ لعـدم رضـا زوجهـا لحـينِ نصـحَتْها أقـربُ صـديقاتها نصـيحةً قلبَتْ حياتها رأساً على عَقِبْ

بـاتَ ضَـجَرها منـهُ ومـن حياتهـا واضـحٌ علـى ردَّاتِ فعلهـا فَمَضَـتْ ثلاثـةُ أشـهرٍ انتَقَـدَتْ بهـا كـلّ مـا يُحيطُهـا حتَّـى الهـواءُ الـذي تَتَنَفَّسُـهْ ، ولـمْ تَعُـدْ حتَّـى تَبَتَسِـمُ لأبيـاتِ الشّـعرِ التـي يَقولهـا لهـا بـل كانَـتْ تنظُـرُ لـه باشـمئزازٍ وكأنَّـه يقـولُ أقْـذَرَ الشـتائم وهـو كـانَ يغُـضُّ الطَّـرْفَ عـن ذلـك ويُرْجِـعُ السَّـبَبَ لضـغطِ العمـلِ وواجبـاتِ المنـزلِ لحـين طفـحَ الكيـلُ معـهُ وانـتَفَضَ غاضـباً لأنهـا صَـرَخَتْ بوجـهِ أبيـهِ عنـدما أوْقَـعَ كـأسُ الشـايِ مـن يـدهِ بـدونِ قَصْـدْ وأسْـرَعَتْ لغُرفَتِهـا وهـي تقـولُ : حيـاةٌ لـمْ تَعُـدْ تُطـاق فَتَبِعَهـا ثُـمَّ سـألها عـن سَـببِ تَبَـدُّلِ حالهـا فلـم تُجِـبْ واسْتَرْجَعَتْ نصيحةَ صديقتها :

لا يوجد شيءٌ يُجبِرُكِ أنْ تعيشي حياةَ الفَقْرِ والتَّعَبِ وأنتِ امرأةٌ بكاملِ أُنوثَتِكِ ولا يَنْقُصُكِ سوى حياةٍ هنيئة لا تُضيعي شبابكِ بحياةٍ لا جدوى منها خُذي بنصيحتي واطلبي الطَّلاقَ وعندَ عودةِ صديق زوجي من أوروبا بَعدَ بضعةِ أشهرٍ سأُدَّبِرُ لقاءاً بينكما فهو يبحثُ عن امرأةٍ عربيةٍ تُشارِكُهُ حياتَه .

عاوَدَ سؤالها عندما رآها شارِدَةَ الذّهنِ فقالت مُحتَدَّة :

أريدُ الطلاق أطلق سراحي من سجني فأنا قَرَّرْتُ ذلكَ بعدَ تفكيرِ أشهرٍ.

لم ينطقْ بكلمةٍ واحدة عندما رآها تأخذُ أغراضها لترحَلَ لمنزلِ أهلها ثم قالت لهُ عندما وصلَتْ إلى الباب:

سأنتظرُكَ غداً الساعةَ العاشرةَ صباحاً عندَ بابِ المحكمة

التَزَمَ الصَّمْتَ وأتى في الموعدِ المُحدَّدِ وتَمَّ الطلاق وبعدَ بضعةِ أشهرٍعادَ العريسُ المنتظر ولاقَتْ

استحسانَهُ فقد كانت زوجةً مثاليةً له عندما عَلِمَ سببَ طلاقِها وهو لا يَنقُصُهُ شيء .

تمَّ الزواج وسافَرَتْ معه فَرَأَتْ حياةً لطالما حَلِمَتْ بها لحينِ بَدَأْتْ تُشْعُرُ بفراغٍ عاطفي فكانَ لا يُعيرُها أيَّ اهتمامٍ وأصبحَ حالها كحالِ أي أثاثٍ في المنزل ولا يتناولُ أيّ وجبةَ طعامِ معها وأحياناً ينسى أنْ يُرسِلُ لها رسالةً أنَّهُ سينامُ خارجَ المنزلِ فأصبَحَتْ جسداً بلا روح وباتَتْ كلَّ يومٍ تسترجِعُ أيامها مع طليقها وتَتَحَسَّرُ على ما خَسِرَتْ فعلى الرغمِ أنها كانت تعلمُ أنَّ زوجها قد طَلَّقَ زوجَتَهُ الأولى بناءاً على طَلَبِها بسببِ عدمِ اهتمامهِ بها كونَهُ دائمُ الانشغالِ بالعملِ فلم تأبَه لذلك فقد كانَ جُلُّ اهتمامها المنزلُ الفخمُ والنقود

انتهت

****

قصة قصيرة

حـذَّرني كـل أقربـائي مـن خطبتهـا كـونَ والـديها يربطهمـا بنـا معرفـة قديمـة فقـد قـالوا لـي بأنهـا فتـاة مشـهورة بـالفهم المعكـوس لدرجـة أنهـا بـبعض الأحيـان تفهـم التحيـة علـى أنهـا إهانـة غيـرَ أنهـا لا تكـف عـن الكـلام لكنـي لـم أصـدق كل هذه المبالغة

كــوني رجــلاً نــادر الكــلام وأول منحــوسٍ تقــدَّم لهــا كانــت بقمــة الخجـل أيـام الخطوبـة فلـم أسـتطع كشـفها إلا في صباح اليوم التالي لليلة زواجنا غَلِطْتُ وقلتُ لها :

لم أرَ أجملَ منكِ بحياتي

رمَقَتنـــي بنظـــرة غضـــب ورَشَـــقَ*تْ كلماتهـــا بـــوجهي كالحجارة:

لقـد بـانَ وجهـكَ الحقيقـي فلقـد قلـتُ فـي قـرارة نفسـي أيـام الخطوبــة مــراراً لا يعقــلُ أنَّ فــي الحيــاة رجــلاً بــه هــذه المواصفات الحسنة ولا يوجد به عيب واحد

فلم أجد من نفسي سوى أني قلت لها مندهشاً:

أعطني يدكِ لأقبّلها وقولي لي ما هو عيبي

لم ترَ أجمل مني في حياتكَ وهذا يعني أنّكَ رجل ذا عينان زائِغَتان على هذه وتلك

في تلك اللحظة شعرتُ كأنَّ لساني قد قُطِ*عَ فخرجتُ من المنزل ولم أعد إلا في المساء وما إن دخلْتُ حتى قالت لي:

متى ستعتذر مني عن خروجك من المنزل في هذا اليوم وتأخرك لهذا الوقت ؟!

عندما تعتذرينَ مني عن نَعتي بذا العيون الزائغة.

لم يعتذر أحدنا وأمضينا أسبوعاً في خصام وكأننا متزوجون منذ عشرون سنة وعلى وشك الطلاق لدرجة أننا نسينا ما حصل لكنها لم تنسَ أن تتوقف عن الفهم المعكوس فقلتُ لها ذات مرة:

أنا سأحضر لنفسي فطائر باللحم مانوع الفطائر التي تحبينها؟!

لماذا تخبرني بنوع الفطائر التي ستحضرها؟! هل لكي لا أطلب منكَ إحضار شيئاً آخر افرض أنَّ لا رغبة لي

بتناول الفطائر وأريد فراخاً مشوية ؟! هذا يثبتُ أنَّ لكَ صفة أخرى وللأسف أني اكتشفتُها للتَّو وهو أنكَ بخيل

آنذاك تعالى صراخي وأنا أقول:

ولماذا تقفينَ عند كل كلمة أقولها وكأنكِ تفتعلين المشاكل

هذا يعني أنَّ أهلكِ قد أجبروكِ على الزواج مني وتريدين أنَّ أكون أنا المبادر بالطلاق ولكِ ما أردتِ انتظري شهراً واحداً فقط لأجل سمعة أهلكِ أمام الناس

خرجتُ من المنزل متأمّلاً أنَّ تهديدي لها بالطلاق سيجعلها تعدُّ للألف قبل أن تفهم كلامي بالعكس

لم أعد إلى المساء والأمل لم يفارقني بأني سأفتح معها صفحة جديدة لكني وجدتها قد أخذَتْ كل ثيابها بعد أن تركت لي رسالة :

من الواضح أنَّك قد شَعَرْتَ بالندم بعدَ زواجكَ مني ومن المؤكد أنَّ السبب هو أنك تحب امرأة ولم تستطع أن تحبني ولهذا السبب تريد أن تطلقني بعد شهر لكني رَحَمْتُكَ من رؤية وجهي وذهبتُ لبيت أهلي

وأنتظـرْ منـكَ ورقـة طلاقـي ولا تقلـق علـى سـمعة أهلـي كونـهم بعد أن يعرفوا السبب سمعتكَ هي التي ستتشوّه .

انتهت

****

*لن تعرفي قيمتي إلا إنْ خسرتيني *

تزوجته وكان متوسط الحال والجمال رجلاً مثقفاً قارئاً نهماً للكتب غير شهادته الجامعية التي تملأ جزءاً لا بأس به من الحائط فقد قلتُ بداخلي بعد أن عرفتُ وضعه المادي :

مع الوقت والصبر سيتحسَّنُ وضعه وسيشتري لي غرفة نوم جديدة عوضاً عن المُهْتَرِئَة وبعد ذلك سنستقلُّ عن أهله ونستأجر منزلاً نقوم بفرشه تدريجياً وعندما نشتري كل ما يلزمنا سنشتري منزلاً ونتخلص من الآجار

قلت ذلك كوني لا أحب التبذير وهو كذلك الأمر فبأشهر خطبتنا التي لم تتجاوز الستة أشهر اشترى لي ستة بلوزات وستة بناطيل وبكل مرة كان يقول لي :

أقوم بادخار نقود كي يكون شهر عسلنا لا يُنسى.

إلى أن أتى شهر البصل الذي فاحت رائحته منذ أول ليلة فبدل أن يشتري لي طعاماً جاهزاً كوني عروس

طلب مني أن يذوق الطعام الذي تُعِدُّهُ يداي مع أني شرحتُ له أني لا أُجيدُ الطبخ لكنه أصرَّ لدرجة أنه اتصل بأمه التي ذهبتَ عند أخته المتزوجة مع أبيه وأخيه وطلب منها أن تُعَلّمني طريقة طبخ الفراخ بالفرن مع الخضار والأرز

على الرغم من محاولات أمه وأخته أن تشرحا له أني عروس ويجب أن يشتري الطعام جاهزاً لا أن أقف وأطهو كي نمضي وقتنا نتسامر ونتجاذب أطراف الحديث وتعهَّدَت أمه بتعليمي الطبخ لاحقاً لكنه أصرَّ على رأيه.

قام بأخذي فسحة إلى حديقة الأزهر بالقاهرة على مدار الثلاثة أيام وكانت تبعد عن المنزل أربع ساعات كانت تلك الساعات من أصعب الساعات التي مرت بحياتي كون الطقس حار لدرجة إن وُضِعَت بيضة تحت الشمس ستُسْلَق دون أدنى انتظار غير المواصلات التي لم أستطع عدَّها ، لدرجة أني قلتُ بنفسي :

الفسحة معكَ أشبه بالأشغال الشاقة

لـم يـنسَ أن يجعلنـي أُعِـدُ صندويشـات الجبنـة واللانشـون إن شـعرنا بـالجوع كـي لا نصـرف نقـوداً كثيـرة علـى الطعام الجاهز

بعـد ثلاثـة أيـام عـاد أهلـه فنـزل إلـى العمـل وعلـى الـرغم من أني قلتُ له :

أرجـوك ابـقَ أربعـة أيـام أخـرى بعـدها انـزل إلـى العمـل وبذلك تكون قد بقيتَ معي أسبوعاً

لكنه قال بابتسامة أخذت عرض وجهه:

أرجـو ذلـك يـا عزيزتـي لكـن كـوني موظفـاً لا أسـتطيع أن أطلب إضافة أيام أكثر فوق الأيام التي أخذتها

ومن بعد تلك الأيام الثلاث بدأت رحلة معاناتي معه

مضـى شـهر واحـد عشـته فـي سـلام نفسـي إلـى أن صرخت أمه قائلة :

المصـروف الـذي تعطـه لـي لا يكفـي بظـل غـلاء الأسـعار غيـر أدويـة الضـغط والسـكر لأبيك التـي ارتفـع سـعرها أيضـاً إنَّ أخيـك الأصـغر منـك يـدفع نقـوداً أكثـر فـي

المنـــزل وبمـــا أنـــك الآن متـــزوج ومســـؤول عـــن امـــرأة فيجب أن تُزيد المصروف ثمن أكلها وشربها

كانـــت آخـــر جملـــة كالصـــاعقة ضـــربَتْ رأســـي وقـــرَّرْتُ أن أقـــوم بإقناعـــه بـــأن يزيـــد المصـــروف أكثـــر ممـــا طلَبَـــتْ لكني فوجئتُ بأنه قال :

لـــن أزيـــدَ لهـــا جُنيهـــاً واحـــداً فـــأمي تحـــب النقـــود ومـــا تأخـــذه يكفي

لـــم أجـــد كلمـــات أســـتطيع نطقهـــا كونـــه رجـــل بـــالغ مثقـــف بمنتصـــف الثلاثينيـــات وأنـــا ابنـــة العشـــرينيات فقلـــت فـــي قرارة نفسي:

مـــن المؤكـــد أنَّ لـــه وجهـــة نظـــر بالموضـــوع وربمـــا كلامـــه صحيح

إلى أن أقْحَمَتني أمه بالموضوع قائلة:

يجب أن تقنعي زوجك أن يزيد المصروف

ثـــم بـــدأت بِعَـــدّ المـــواد الغذائيـــة التـــي ارتفـــع ســـعرها ولـــم يَغِب عن ذهنها شيء واخْتَتَمَت حديثها قائلة:

إنَّ زوجكِ لا يعي أنَّ أخيه يريد الزواج ولا يفيض من مرتَّبه شيء لادخاره

فقلتُ لها :

لا عليكِ أمي سأقوم بالحديث معه

عاد مساءاً إلى المنزل وبعد أن أكل وارتاح قام بقراءة أبيات شعر ألَّفها لأجلي كما اعتاد أيام الخطوبة وقبل أن يضيع تركيزي بجمال كلماته قلت له الكلام الذي قالته أمه وأردَفْت :

أمك معها كل الحق عزيزي فأخيكَ يجب أن يُنْقِصَ المصروف كي يُجَهّز وضعه استعداداً للزواج وبذلك سيقع الجزء الأكبر على عاتقك

حتى لو قام بإنقاص المبلغ فالمبلغ الذي تأخذه يكفي وإن لم يكن يكفي فلتُقلل من مرات طهي اللحوم والفراخ والسمك وتقلل من أنواع الفاكهة التي تحضرها

نظرت له والدهشة تعلو وجهي وأنا أشعر بالضيق من كلامه فالتزمت الصمت دقائق ثم خرجت إلى الصالة

وأشعلتُ التلفاز لعلَّ تأثير كلامه يزول لكن ما إن رأتني أمه حتى هرولت لي قائلة:

ماذا قال لكِ؟!

قَصَصْتُ لها ما قال فتَبَدَّلَتْ ملامحها ثم قالت:

له ما أراد

مضى أسبوعان لم تجلب إلى المنزل سوى مرة واحدة بالأسبوع فراخاً والأخرى سمك وجلبت مرة واحدة بالأسبوع نوعان من الفاكهة وبقية الأيام كان الطعام إما خضاراً مطهية بدون لحوم أو بيض وجبنة وفول وطعمية

بدأ الضيق يعتصر قلبي فقد كنت أحيا حياة عند أهلي كالأميرات آكل ما تشتهي نفسي

ما زاد من ضيقي أكثر أنه باليوم الذي لا تطهو أمه فيه اللحوم إما يأتي وقد تناول الطعام في الخارج أو يجلب معه التونة المعلبة واللانشون له فقط وإن سألته أمه لماذا لم تحضر للجميع قال :

أنتم تناولتم الطعام أما أنا فلم أتناول

مضت بضعة أشهر لم يتأثر بأن يفتح الثلاجة ويراها فارغة وأن يعرف أني آكل طعاماً كالذي يُعَدُّ للمرضى ولا يُحرِّك ساكناً فأصبَحْتُ أشعر بالاشمئزاز من مغازلاته التي لا تتوقف وأيقنت أنَّ حبه الذي يدَّعيه نابع من الكلمات فقط.

كانت نفسي عزيزة عليَّ لدرجة أنه لو وُضِعَ أمامي خبراً وبصل آكله بدون أن أفتح فمي بكلمة وعندما طفح الكيل معي لجأتُ لأهلي الذين لم يحركوا ساكناً سوى أن قالوا سنتكلم معه لكن الصدمة أنَّ رده عليهم كان كرده عليَّ فقال والدي :

لقد تحدَّثنا معه تارة أنا وتارة أمكِ وتارة أخيكِ لكنه متمسك برأيه لأبعد الحدود .

لم يمضِ يومان حتى أتت ببالي فكرة أشعلَتْ لهيب المشاكل بيننا.

أريد أن أعمل

رمقني بدهشة :

ولمَاذا العمل ؟!

أجبتُ بنبرة حادة:

مـاذا يعنـي لمـاذا ؟! ألا تـرى وضـع المنـزل ووضـع أمـك و أخيـك المنـزل بتـوتر وكأننـا أعـداء ولـو لـم يكـن أبيـك مريضاً لا طاقة له حتى للكلام لكان طردك من المنزل

يطرد مَن أيتها الحمقاء ؟! هذا منزلي أيضاً

انهالـت دمـوعي بغـزارة عنـدما سـمعتُ كلمـة حمقـاء فقـام باحتضاني وأعتذر مني فتمالكتُ نفسي ثم قلت :

دعنـا نتحـاور إنَّ النقـود التـي سـأجنيها سأصـرفها علـى المنـزل وبهـذا سـيخف التـوتر أو قـم بزيـادة المصـروف أنت

أولاً المصـروف لـن أزيـده وبمـا أنـكِ تريـدين الحـوار فلـك مـا أردتِ تقـولين أنـك تريـدين العمـل وبشـهادتك هـذه أحســن عمــل ســأوافق عليــه هــو أن تكــوني مُدَرّســة بحضــانة وبالتــالي لــن يعــود عليــك ذلــك العمــل ســوى ببضعة جنيهات .

اتسعت حدقتا عينيَّ من الدهشة:

ومن قال أني لا أستطيع العمل سوى بحضانة أستطيع أن أتوظف بشركة أو أعمل مُحاسِبة بمصنع .

ومن قال لكِ أنَّ الوظائف متاحة لمن هبَّ ودَب عزيزتي الناس يشتهون فرصة عمل بلا جدوى ولنفترض أنكِ وجدتِ فأنا لن أسمح لكِ بالعمل بين الرجال

نظرت له بصدمة عارمة:

من الصادم أن يخرج هذا الكلام من رجل مثقف مثلك

لا علاقة للثقافة بهذه الأمور فالحياة أصبحت كوادي الذئاب وأنتِ فتاة صغيرة جميلة جداً ولن أستطيع أن أشعر بالاطمئنان عليكِ إن ذهبتِ للعمل وسط الوحوش المفترسة.

شعرتُ أني أُصبْتُ بالخَرَس فجأة وعاد نفس الضيق الذي شعرت به لقلبي وأيقنتُ أنَّ لا فائدة من النقاش معه فخرجتُ إلى الصالة وأشعلتُ التلفاز وأثناء تفكيري بطريقة لإقناعه استبعدْتُ أهلي كوني أعلم أنهم لن يقفوا معي بأمر ربما يجلب الطلاق والعار لهم

لـم أجـد الحـل سـوى بأمـه التـي رحَّبَـت بـالفكرة وانفرجـت أسـاريرها ولـم تفارقهـا البسـمة لحـين أيَّـدَت فكرتـي أمامـه فتعالى صراخه قائلاً:

تريـدون أن تخربـوا بيتـي وتقومـون بتحـريض زوجتـي ضدي

شـعرتُ بتلـك اللحظـة وكـأني تزوَّجـتُ رجـلاً لـم يـدخل المدرسـة قـط ولـم يُعاشـر بشـراً بحياتـه وكـأنَّ حياتـه أمضاها بالغابة مع الحيوانات التي لا تعي الفهم

خرجت أمه وقالت لي:

اعـذريني يـا ابنتـي اعتقـدنا أنَّ زواجـه سـوف يُغيّـر العقـل الصـخري الـذي بـين أكتافـه لكـن توقعنـا كـان خاطئـاً سامحيني يا ابنتي

التزمـتُ الصـمتَ وكـم تمنيـتُ أن أر*شُـقَ الكلمـات بوجهها وأنا أقولها في قرارة نفسي:

أي تربيـة هـذه التـي ربيتيهـا لابنـك وأي حليـب أرضـعتيه !؟

هـل تركتيـه يسـرح مـع المـاعز والأغنـام واكتفيـتِ برعاية ابنكِ الصغير؟!

انسـحبتُ لغرفتـي قبـل أن أُخْطِـئ بكلمـة وأُسَـبب لهـا جلطة قلبية بعد كلام ابنها

عشـتُ بأزمـة نفسـية أيامـاً وأصـبحتُ أراه شـي*طان لا أحتمـل منـه كلمـة ولا همسـة وكلمـا أراد أن يقتـرب منـي أنـتفض مـذعورة وكأنـه يريـد قـت*لي إلـى أن حصـل مـا ضاعف أزمتي النفسية أضعاف

انسـكبَ المـاء علـى الطاولـة بغرفتـي دون قصـدي ومـع أنـي مسـحتُ المـاء لكنـي لـم أنتبـه أنـه لا يـزال هنـاك القليـل فوضـعتُ هـاتفي المحمـول فـوق المـاء بـدون أن أنتبـه وعـدت إلـى غرفتـي بعـد سـاعة لأجـد الهـاتف لا يعمـل شـعرتُ بـالحزن الشـديد كـوني علـى يقـين بأنـه لـن يشـتري لـي واحـداً بسـهولة وكـان تـوقعي صـائباً فعنـدما عـاد فـي المسـاء ورأى هـاتفي قـد احتـرق كـاد أن يقفـز فرحـاً وهـو يتفَحَّصُـهُ لدرجـة أنـه قـال بصـوت بالكـاد اسـتطَعْتُ سـماعه :

الآن لن يقوم أحد بتحريضها ضدي

كاد قلبي أن يتوقف من شدة الألم فقلت له بنبرة حادة:

أريد هاتفاً جديداً

نظر لي بطرف عينه :

لو كنتُ أملك نقوداً كنت زوَّدْتُ المصروف لأمي

تعالى صراخي حينها وقمت بتكسير كل ما رأته عيناي

وأنا أقول :

طلقني طلقني أيها البخيل

فقام بصفعي فوقعتُ أرضاً وتعالى بكائي وصراخي مما جعل أمه تقتحم الغرفة وتقف بيننا وهي تحاول أن تُهدئ الوضع

فلم أجد من نفسي سوى أني هرولتُ ووضعت بضع قطع من ملابسي بحقيبة صغيرة وخرجتُ من الغرفة

وأنا أقول :

أرسل ورقة طلاقي لمنزل أهلي

فصرخ قائلاً:

لكِ ما أردتِ يا قليلة الأدب والتربية

مـا إن دخلـتُ لمنـزل أهلـي حتـى سـمعتُ والـدي يتحـدث معه قائلاً:

اهدأ يا بُنَيّ فبعد أن ترتاح سأُعيدها لك

كانت أول مرة أرفع صوتي بوجه أبي وأنا أقول:

ومـن قـال لـك بـأني سـأعود لـذلك البخيـل المتخلـف العقلـي ؟!

كـــاد أن يضـــربني هـــو الآخـــر لـــو لا أن رأى أصـــابعاً مرسـومة علـى خـدّي وعينـاي منتفختـان مـن البكـاء فقـال لـي بذعر:

ماذا حدث ؟!

قَصَصْـتُ لـه كـل شـيء فَشُـلَّ لسـانه عـن الحركـة لـدقائق

ثم قال:

لو الأمر هكذا سأشتري واحداً لكِ وانتهى الأمر

بحقكَ أبي مشكلتي الكبرى هي بخله وليس الهاتف وما نفع أن تشتريه أنت وأمام الناس أنا على عِصْمَةِ رجل ؟!

ابنتي سندعه بضعة أيام يفكر وإن أصرَّ ألا يُحْضِرَهُ لكِ سأشتريه أنا وننهي الخلاف

مضت بضعة أيام وأنا ألع*ن حظي

اتصل بأبي ففتح مكبر الصوت :

ماذا حصل معك يا أبي ؟! هل استطعتَ إقناعها للرجوع أم أنها مُصِرَّة على الطلاق ؟!

أيُّ طلاق يا بني ؟! زوجتكَ تريد هاتفاً جديداً عوضاً عن الذي احترق لا أكثر

من أينَ سأحضر النقود لا نقود معي

اشتري أرخصَ هاتفٍ في السوق لا يتعدَّى الألف والأربعمئة جنيه

لا أملك نصفهم فالداخل يُساوي المصروف

أشـعلَتْ تلـك الجملـة شـرار الغضـب داخلـي فأخـذتُ الهاتف من يدي أبي وقلت :

وهل تصرف على المنزل أصلاً أيها البخيل

صدقيني إن قلتيها مرة ثالثة سأطلقك

وقبـل أن أقولهـا أمسـك أبـي الهـاتف مـن يـدي وأغلـق الاتصال ثم طلب مني الذهاب إلى غرفتي

لـم يـتمَّ أي تواصـل بيننـا بضـعة أيـام أخـرى زادَتْ سـخطي علـى قـدري لحـين أتَـتْ أمـه لزيـارتي ومعهـا عـرضٌ وجملة من ابنها

بدأَتْ حديثها قائلة:

أوصـاني ابنـي أن أقـول لـكِ جملـة وعـرض لكـن قبـل ذلـك أريد أن أقول لكِ كلاماً مني وليس منه

تفضلي

ابنتـي علـى الـرغم مـن بخـل ابنـي لكـن النـاس تشـهد لـه بحسـن أخلاقـه فلـم يُكَلِّـم فتـاة قـط ولـم يحتسـي ولـو لمـرة واحـدة رشـفة مـن المشـروبات الكحوليـة ولـم يتعـا*طى

المخدرات بأي شكل منها بل حتى لا سيجارة له فلن تجدي رجلاً بهذه الأيام مثله

ابتسمتُ لكلامها ثم قلت:

أمي نحن نعلم جيداً أنه لو أراد أن يدخل بعلاقة مع أي فتاة عندما كان أعزباً أو حتى إن رغب أن يخونني بعد زواجنا فإنَّ تلك المرأة ستطلب منه هدايا كثيرة وخروجات للمطاعم وفسحات ولن تقبل إلا أن يشتري لها كلَّ ما لذَّ وطاب وللحفاظ على جيبه قرَّر أن يرتبط بعلاقة رسمية وجعلها لا تتعدى الستة أشهر كي يضمن تلك الفتاة زوجة له وبالنسبة للمخدرات والمشروبات الكحولية فنعلم أيضاً أنها تكلف نقوداً كثيرة وكونه رجلاً مثقفاً جامعياً فيعي أنَّ أضرارها ستقوده إلى الإدمان وبالتالي سيدفع نقوداً أكثر.

صمتْتُ لحظات والضيق يعتصر قلبي من كلامها ثم تابَعْت :

أمي لو أردنا أن نَصِفَ رجلاً بأنه ذا أخلاق حسنة ولا يفعل كل الأمور التي ذكرتيها فيجب أن يكون كريماً،

يصـــرف بـــدون أن يفكـــر أيـــن ســـتذهب نقـــوده لا أن يعـارض زيـادة المصـروف لأمـه وأنـا علـى ثقـة بأنـه لـو حصـلت معجـزة واسـتقلَّينا بمنـزل أنـا وهوسـيفعل نفـس الشيء معي

تنهَّدَت بحزن ثم قالت:

ربما إن خلَّفتُما ولداً تتغير طباعه

من شبَّ على شيء شاب عليه أمي

ابنتي كأني فهمتُ من كلامكِ أنكِ مُصِرَّة على الطلاق

نعم مُصِرَّة

نظـرت لـي وجُفـون عينيهـا كـادت أن تتمـزق ثـمَّ تبـدَّلَ حالها فجأة وقالت بغضب حاولت إلجامه :

إذاً لا داعي أن أُخبِرَكِ بالعرض والجملة التي قالها

وقبل أن أفتح فمي بكلمة انتَفَضَت من مكانها :

أريد الذهاب ابتعدي عن طريقي

هرولَت للباب ومن دهشتي لم أقل لها كلمة واحدة وحمدت الله أنَّ لا أحد من أهلي كان بالمنزل كي لا يضغطوا عليَّ بكلامهم وآرائهم

دخلتُ لغرفتي وأنا أفكر بكلام حماتي وخشيتُ أن يكون به شيء من الصواب ففعلاً زوجي ذا أخلاق عالية بشهادة الناس وحتى بشهادة أخيه وأمه وأبيه على الرغم من أنهم ليسوا على وفاق معه خاصة أخيه فقد قال لي ذات مرة :

لقد حاولتُ كثيراً مع زوجك أن أُعَلِّمه التدخين كي أُقرِّبه مني وأحاول جعله رفيقي بالخروجات التي أخرجها مع الفتيات كي يتعرَّف على واحدة تنسيه بخله وتجعله يصرف نقوده بكرم لكن دون جدوى

تضاربَتْ الأفكار بداخلي ما بين كلام أمه وأخيه ورغبتي بالطلاق فقلتُ في قرارة نفسي:

ربما إن تزوجتُ رجلاً كريماً يكون عاشقاً لتكوين علاقات مع نساء حتى بعد زواجه وأتعرض للخيانات

المتكررة وأمضي أيامي أراقبه وألاحقه وربما يكون مُدْ*مناً على المشروبات الكحولية والمخدرات

وقبل أن أُقَرِّر أن أنتزع فكرة الطلاق من عقلي فجأة تذَكَّرت شتيمته لي عندما قال حمقاء وصفعه لي ذلك الكف الذي شوَّهَ وجهي يومان فتغيَّرَ تفكيري بلحظة ثم قلت:

وما الذي يمنعه من ضربي مرة أخرى بل مرات ؟! من المؤكد أني بمواقف لن أحتمل بخله وسأتشاجر معه وبالتالي سيض*ربني ربما ضر*باً يود*ي بحياتي أو يُسَبب عاهة مستديمة لي فمن سوَّلَت له نفسه بضرب زوجته مرة وعادت له سيضربها مراراً غير الشتائم التي ربما تصبح علنية أمام الناس وحينها ما نفع أني تزوجْتُ رجلاً مثقفاً جامعياً وهو لا يستمع إلا لآراءه أصلاً وحتى إن ناقشني أيضاً سيُنَفِّذُ كلامه .

حينها شعرْتُ أنَّ قراري بالطلاق أفضل قرار آخذه بحياتي وحتى لو قام أبي بِقَتْ*لي لن أُغَيّر رأيي

عـاد أبـي وأخـي وأمـي مسـاءاً فرأيـتُ الحمـاس والسـعادة بـدت واضـحة علـى أبـي عنـدما سـألني مـاذا جـرى بـين وبـين حمـاتي ومـا إنْ أخبرتـه مـا حصـل وقلـتُ قـراري حتـى تعـالى صـراخه وانقـضَّ علـيَّ لضـر*بي وشـعرتُ حينهـا أنـه سـيقت*لني لـو لا وجـود أخـي الـذي منعـه ووقـف أمامـه كالجبـل وهرولَـت أمـي تحتَضِـنُني وتسـحبني لغرفتي .

كانـت أول مـرة بحيـاتي أرى أبـي يُعـاملني بتلـك الطريقـة فقـد كـان ملجـأ الأمـان والحنـان حتـى أكثـر مـن أمـي فتمَلَّكنـي الرعـب أن تتحـول حيـاتي مـع عـائلتي لهـذا الشـكل وأن يُعـاملني أبـي معاملـة مُهينـة كـوني مُطَلَّقـة ويقـوم بتعلـيم أخـي ويقلبـه ضـدِّي فتتحـول حيـاتي لجحـيمٍ لا يطـاق وشـعرتُ تـدريجياً بـأني سـأنهي خلافـي مـع زوجـي وسـأعود لـه وبقيـتُ بضـعة أيـام انتظـر خبـراً منـه فقـد توقَّعْـتُ أن يـأتي ليصـالحني شخصـياً ومعـه هـاتف محمـول مـن أحـدث الأنـواع كونـه كـان يقـول لـي دومـاً أنـه يحبني لدرجة أني لو احتَجْتُ روحه سيعطيها لي .

غيرَ أني دُهِشْتُ من تبدِّل حال أبي في تلك الأيام فقد عادَتْ معاملته اللطيفة لي كما كانت قبل زواجي وكأنَّ شيئاً لم يكن إلى أن عادت أمه مرة أخرى لتقول جملة ابنها وعَرْضَه الذي من غضبها لم ترغب بقوله

ما إن دخَلَتْ أمه حتى قالت لي :

لا أريد إطالة الكلام فمع أني قلتُ لابني أنكِ تريدين الطلاق لكنه أصرَّ أن آتي لأُخبركِ بعرضه وجملته لعلكِ توافقي وتنتزعي فكرة الطلاق من رأسك

تفضلي

أولاً إنَّ عرضَ ابني لكِ هو كلما حفظتي جزءاً من القرآن سيعطيكِ مئة جنيه تدَّخرينها وكل جزء يعقبه مئة أخرى تدخرينها أيضاً إلى أن يكتمل المبلغ لألف ومئتا جنيه وحيث أنَّ هذا أرخص هاتف تستطيعين إستخدامه لوسائل التواصل الاجتماعي وبهذا يكون قد اكتسب ثواباً معكِ والجملة التي أراد قولها لكِ هي لن تعرفي قيمتي إلا إنْ خسرتيني.

نظـرتُ لهـا كالمعتوهـة واجتـاحتني رغبـة عارمـة لأول مـرة فـي حيـاتي بـأن أشـتم أحداً ثـم نظـرتُ أرضـاً وحاولـتُ أن اسـتوعب مـا قالـت فـالعرض كـان بِكَفَّـة وجملتـه كانـت بِكَفَّـة أخـرى أيقنـتُ منهـا أنـه مجـرد شـخص جـامعي قـارئ للكتـب لكـن نسـبة فهمـه واسـتيعابه معدومـة ومهمـا حاولـتُ أن أشـرح لـن يفهـم فرفعـتُ نـاظريَّ نحوهـا وقلتُ:

قـولي لابنـك أنـي لسـتُ موافقـة علـى عرضـه ولـن أُصَـدِّقَ جملتـه إلا إن خسـرته وهـذا يعنـي أنـي مصـممة علـى الطلاق

انتفضت وأطل*قَت كلماتها بغضب :

ابنـي معـه كـل الحـق إذاً مـن المؤكـد أنَّ هنـاكَ أحـداً يُحَرِّضُكِ على طلب الطلاق منه

ثـم هرولَـتْ إلـى البـاب وأغلقَتْـه خلفتهـا بع*نـف حينهـا فقـط أدركْتُ من أين حصل ابنها على فهمه

خرجـت أمـي مـن الغرفـة المجـاورة فهرولْـتُ وعانقتهـا وأنا أبكي :

أرجوكِ أمي ساعديني أريد أن أتخلَّصَ من هذا الكائن حتى لو قت*لني أبي وأخي

فَرَبَتْ على شعري وطمأنَتْني بأنَّ الأمور ستتحسَّن

عاد أبي مساءاً وبدون أن يسألني اتجه نحو أمي وطلب منها اللحاق به وإخباره ماذا قالت حماتي لي وبعد بضع دقائق خرج وأقبل نحوي وكاد قلبي أن يتمزَّ*ق من هول ضرباته فتوقَّعْتُ أن ينهال بالض*رب علي لكنه جلس بجانبي وعانقني ثم قال:

ابنتي بعد الكلام الذي أرسله مع أمه أيقَنْتُ أنه رجل شحيح البخل وحياتك القادمة معه ستكون سوداء قاتمة خاصة إن أنجَبتي منه ولداً فسيزداد بخله بحجة زيادة المصروف عليه وبما أنكِ مُصرَّة على الطلاق ولم يبتليكِ الله بأولاد منه فأنا موافق بشرط أنه بعد أربعة أشهر ونصف من تاريخ طلاقكِ سيتمُّ زفافكِ على ابن عمتكِ فقد طلَّق زوجته منذ بضعة أيام.

أومأتُ رأسي بالموافقة وعيناي اغرَوْرَقتا بالدموع فرحاً وأيقَنْتُ حينها سبب تبدّل حال أبي كونه وجد ابن

أختـه عريسـاً سـريعاً يُسْـكِتُ بـه أفـواه النـاس إن قـالوا إنَّ ابنته مُطَلَّقة

تـم طلاقـي بمـدة قصـيرة وانفرَجَـت أسـاريري وأمضـيتُ الأربعـة شـهور بسـعادة مسـجونة تَحَـرَّرَت فجـأة بعـد أن حُكِمَ عليها بالإعدام

إلـى أن انتهـت الأربعـة أشـهر وأتـى ابـن عمتـي برفقـة المأذون وأمه وأبيه مباشرة لعقد القِران

لا أعلـم لمـاذا تـذَكَّرْتُ حينهـا جملـة طليقـي وخشـيتُ أن تتحقـق كـوني لـم أجـرؤ حتـى أن أسـأل عـن سـبب طلاقـه لزوجته .

لـم أرَهُ مـرة بعـد عقـد القـران فبعـد أسـبوع واحـد تـمَّ الزفـاف شـعرت بتلـك الليلـة براحـة نفسـية لا مثيـل لهـا غير الأمان الذي لم أشعره إلا بطفولتي مع أبي

وفـي صـباح اليـوم التـالي لزفافنـا كانـت المفاجـأة فقـد طلـب منـي أنْ أحـزم أمتعتنـا اسـتعداداً للسـفر إلـى مصـيفٍ بشـرمِ الشـيخِ أسـبوعاً كـاملاً كـدْتُ أن أقفـز فرحـاً وأيقنـتُ أنَّ الله قـد عوَّضـني بـه مضـى أسـبوعاً حلَّقنـا بـه فرحـاً

وكأننا عُشَّاق لدرجة أني قلتُ له بدون أن أعي حبيبي فنظرَ لي بدهشة عارمة وقال:

عيديها أرجوكِ فكم تمنَّيْتُ أن أسمعها منكِ

ابتسمت بدهشة :

هل أفهم من كلامك أنَّكَ كنت تحبني ؟!

بل كنتُ أعشقكِ

يارجل ! ولماذا لم تتقدَّم لخطبتي إذاً؟!

أيُّ خطوبة يا ابنة الخال وأنتِ ما إن دخلتي إلى الجامعة حتى كاد رأسكِ لا يحملكِ وأنتِ ترددين دوماً لن أتزوَّج إلا من رجل مثقف جامعي وأنا بالكاد أخذتُ الشهادة الإعدادية واعمل حدَّاد

لا أعلم لماذا في تلك اللحظة اجتاحتني رغبة عارمة في عناقه فعانقته بلحظتها ثم قلتُ:

ولماذا طلَّقْتَ زوجتك ؟!

بعدَ أنْ أصبحَ تعليمكِ غصَّة بقلبي قرَّرْتُ ألا أتزوج إلا من فتاة جامعية وألبستُها ذهباً كثيراً ما عدا خاتم

ألمـاس هديـة الخطوبـة وإسـوارة ألمـاس هديـة الـزواج لكنهـا كانـت تطمـع بالمزيـد ولـم تتوقَّـف عـن طلـب الهـدايا لهـا ولعائلتهـا ولـم تتنـازل عـن الـذهب كهديـة وعنـدما أرفـض وأشـرح لهـا بكـل مـرة أن تحويشـةَ عمـري قـد صـرفُتها للـزواج بهـا كانـت تـردُّ باحتقـار وتقـول أنـا مثقفـة جامعيـة ولـو تزوَّجْـتُ مثقفـاً لعيَّشـني حيـاة الرفاهيـة وأحضَـرَ لـي كـل مـا أريـد صـدقني لـن تعـرف قيمتـي إلا إنْ خسرتَني .

كانـت آخـر جملـة كدعابـة سـمعتها ذات يـوم فـدخلْتُ فـي نوبـة ضـحك لـدقائق وهـو ينظـر لـي بـذهول وبعـد أن توقَّفْتُ عـن الضـحك قَصَصْـتُ لـه كلَّ مـا بَـدَرَ مـن طليقـي بـدءاً مـن الفسـوحات لحديقـة الأزهـر تحـت مسـمى شـهر العسـل انتهـاءاً بعرضـه وجملتـه كـونَ والـدي لـم يخبـره بالتفاصيل سوى أنه بخيل

وبعد أن انتهيتُ من حديثي قلتُ له :

الحمد لله الذي خلَّصَنا من المثقفين

تعالت ضحكاتنا وأمضيتُ معه سنيناً بغاية السعادة والجمال فقد كنا متفاهمين لأبعد الحدود لدرجة أنه ساعدني بالبحث عن عمل إلى أن توَظَّفْتُ محاسبة بشركة على مستوى رفيع واستمَرَّيتُ بعملي حتى بعدَ أن أنجبتُ طفلي الأول

انتهت

****

كلُّ شيء زاد عن حدِّه انقلبَ ضدَّه

كان هناك امرأة لا تهوى شيئاً أكثر من الاعتناء بجمالها تواكب صيحات الموضة والماكياج وتسريحات الشعر عدا عن الاعتناء ببشرتها وكان ذلك على الرغم من المصاريف يُسْعِدُ زوجها كثيراً فكلما طلبت منه النقود كان يقول في قرارة نفسه:

وما أفضل من أن يكون لدى الرجل امرأة جميلة وأنيقة فلو لم تكن تحبني لم تعتني بنفسها

استمرَّ ذلك بضع سنوات بعد زواجهما إلى أن تطوَّرَت مفاهيمها عن الجمال من صديقاتها وقريباتها لهوس عمليات التجميل

فقالت لزوجها ذات مرة :

أريد منك مئة ألف لأقوم بعملية تصغير لأنفي

نظر لها بدهشة عارمة:

وما حاجتكِ لذلك ؟!

ألا ترى أنه بحجم حبة البطاطس

ومن قال لكِ ذلك ؟!

عيناي

فقال لها مازحاً:

وأنا تعجبني حبة البطاطس التي تتوسَّط وجهكِ

انفج*رت باكية ثم قالت :

هـذا دليـل مؤكـد منـك أنَّ انفـي مثيـر للاشـمئزاز وأنـا تعبـتُ مـن تصـغيره بالمكيـاج لمـاذا لا تعطنـي النقـود لـم أعهدك بهذا البخل قط

اعتصر الأ*لم قلبه ووافق بعد أن قال في قرارة نفسه:

ربمـا معهـا حـق وعمليـة تصـغيرأنف لـن تـؤثرعلى شـكلها بـل علـى العكـس سـتزيدها جمـالاً وتُريحهـا مـن وضـع مساحيق التجميل وكله لأجلي

بعـد أن رأى أنَّ جمالهـا قـد ازداد ونفسـيَّتها قـد تحسَّـنَت بضـعة أشـهر بشـكل كبيـر لدرجـة أنهـا أصـبحت كطفلـة وديعـة بحركاتهـا ودلعهـا عليـه فشـعر حينهـا أنَّ قـراره

كان صائباً لكن عندما طلبت منه نقوداً لعملية تجميل أخرى بدأ الضيق يتسرَّب لقلبه وبدأت أفكار تراوده لم يخطر بباله أنه سيفكر بها يوماً ما

أريدُ مبدئياً مئة ألف لأقوم بعملية شدٍّ لخدَّاي وجفناي

نظر لها بدهشة عارمة وقبل أن ينطق بكلمة تابَعَت:

حال خدَّاي وجفنايَ كحال أنفي أضع المساحيق الكثيرة لأقوم برفعهم والعملية ستريحني من وضع المساحيق

لستِ مضطرة أصلاً لرفعهم شكلك مقبول حتى بدون مساحيق

كانت كلمة مقبول كشت*يمة لها فانفجرت بوجهه غاضبة:

لقد أوقَعَكَ لسانك فأنا أسعى إلى الجمال وليس إلى القبول

أولاً اخفضي صوتك وثانياً إنَّ كل ما تقومين به لأجلي وأنا معجب بكِ كما أنت فلا داعٍ للعمليات

لكنها لم تتوقف عن الصراخ وهي تقول :

لأجل من ؟! عجَّلَ الله أجَلَكْ أنا أقوم بكل هذا لأجلي

لم يجد من نفسه سوى أنه ضرَ*بَها كَفَّاً أطا*حَ بها أرضاً ثم خرج من المنزل بدون أن يرى أمامه واستقلَّ سيارته وسابق الرياح إلى حيث لا يدري ولم يعدْ لوعيه إلا عندما كاد أن يتعرَّضَ لحادث سير حينها توقَّفَ وأَتَتْهُ فكرةَ أن يدفع للطبيب نقوداً أكثر كي يجعل عملية زوجته أفْشَلَ عملية ويصيبها بتشوّه يجعلها لا تستطيع أن تخفيه حتى بمساحيق التجميل لكن سرعان ما انتزع الفكرة من رأسه وفكَّرَ بأن يخو*نها مع الخادمة أمام عينيها نظير أن يعطيها النقود كي تقوم بالعملية لكن سرعان ما انتزَعَ الفكرة من رأسه أيضاً كونها أفكار شي*طانية لا تُشبِهُه ودُهِشَ كيف استطاع أن يضر*بها فتساقطت دموعه لأول مرة في حياته عندما تذكَّرَ دعاءها عليه واعترافها بأنَّ كلَّ ما تقوم به لأجلها وليسَ لأجله فشعر أنَّ كل حياته معها كانت كذبة وبلحظة تَبخَّرَ كل حبه لها لكنه استمرَّ على فكرة الانتقام منها لكن على طريقته الخاصة

عندما عادَ إلى المنزل مساءاً توقَّعَ أن يرى ورقة كُتِبَ عليها: أرسل ورقة طلاقي لمنزل أهلي لكنه فوجِئَ عندما رآها جالسة تنتظره أمام مائدة بها ما لذَّ وطاب وبأناقة كأنَّهم على وشك استقبال الضيوف لكنه لم يقل كلمة لها بل أسرع ليأخذ وسادة ولحاف واتجه إلى الكنبة مُتَلَهِفاً للنوم بعد يوم كئيب وما إن استلقى على الكنبة حتى أقبلَت نحوه وهي تقول:

آسفة أعتذر منك كثيراً وأرجو أن تُسامحني أنا لا أقوَ على خصامك

اتَّسَعَت حدقتا عينيه من الدهشة وقبل أن تنفرج أساريره من السعادة قالت له:

كونكَ لم تُعارض عملية تجميل أنفي فلا أستطيع الزعل منك وإن أردْتَ أن أسامحك على صف*عي أريد نقوداً لكي أقوم بعملية شدٍّ لخدَّاي وجفناي

شعرَ بتلك الكلمات كأنها ردَّت له الصف*عة وبدون أن ينظر إليها قال :

لكِ ما أردتِ لكن دعيني أنام اليوم هنا

قفزت كطفلة وهي تصفق ثم أكلت بضع لقيمات وذهبت إلى النوم لكنه لم يستطع النوم بتلك الليلة وهو يفكر بخيبته منها وكيف أنه عاش معها مخدوعاً وتذَكَّر مواقف على مر السنوات كانت أمام عينيه تخبره أنها لا تحبه أو تكترث لأمره حتى لكنه تجاهلها وقدَّم حسن النية

بنفس الوقت حَمَدَ الله أنها قد كُشِفَتْ على حقيقتها فقرَّرَ أن لا ينتزع من رأسه فكرة الانتقام منها

استيقظ عند الظهر متثاقلاً أن ينهض من الفراش لكنه قاوم تعبه وبعد أن شَرِبَ فنجان القهوة قال لها :

احجزي عند طبيب التجميل فسوف أذهب معك للاطمئنان عليكِ

كادت أن تكَ*سر أضلاعه من قوة الحضن ثم حددت موعداً مع الطبيب ومع أنه يتعارض مع وقت عمله لكنه رتَّب أموره وذهب معها

أظهر لها اهتماماً كبيراً وتعاطفاً معها بسبب ألم ما بعد العملية واستمرَّت معه بغاية السعادة والسلام بضعة

أشـهر لدرجـة أنـه كـاد أن ينسـى انتقامـه لكنهـا عنـدما قالت له:

أريد أن أقوم بعملية لشفط الدهون ونحت الجسم

شُلَّ لسانه عن الحركة بضع دقائق ثمَّ قال لها:

لكِ ما أردتِ

بغضـون بضـعة أسـابيع كـان قـد خَطَـبَ فتـاة جمالهـا الطبيعـي يُعـادل جمـال زوجتـه بعـد عمليـات التجميـل وقبـل زفافه بيوم قال لزوجته :

لـم يعـد ينقصـكِ سـوى عمليـة تكبيـر للفـك كـون وجهـك صـغير جـداً وبـنفس الوقـت سـتقوم هـذه العمليـة بشـدِّ وجهـكِ ويبقـى نفـخ شـفَّتَكَ العليـا كـي تُطـابق حجـم السـفلى وبهذا تكوني قد أصبحتِ شبيهة الدمية

أخَـذَت ابتسـامتها عـرض وجههـا وقبـل أن تنطـق بكلمـة تابع كلامه قائلاً :

سـأعطيكِ كـل النقـود التـي تحتاجينهـا بشـرط أن تحضـري زفافي غداً

فقالت ضاحكة :

أنا لا أحب المزاح من هذا النوع

فـأخرج هاتفـه المحمـول بـه كـل صـور الخطوبـة وبـدون أن تُبدِي أيَّ رد فعل قالت له:

إن وضعتَ النقود بيدي الآن سآتي

ضحك بسخرية ثم قال:

لسـتُ غبيـاً لأن لا أعـرف كيـد النسـاء سـأعطيكِ نصـف المبلغ الآن ونصفه بعد أسبوع العسل

موافقة

حضـرَت الزفـاف وكـأنَّ العـريس لا يقربهـا أصـلاً وبعـد أسـبوع أخـذت النقـود وطلبـت منـه أن يحضـر العمليـة برفقـة ضُـرَّتها حينهـا أيقـن مـع زوجتـه أنهـا مريضـة نفسياً فقالت له كأنها قرأت أفكاره :

أرى أننا يجب أن نأخذها لطبيب نفسي

نظر لها بدهشة عارمة:

هـذا مـا كنـت أفكـر بـه الآن بـارك الله بـكِ لعلَّنـا نسـتطيع إخراجها من حالتها النفسية قبل أن تطلب عمليات أكثر

مـــا إن تعافَـــت مـــن العمليـــة واســـتعادَت نشـــاطها حتـــى عـرض عليهـا الـذهاب إلـى الطبيـب النفسـي وهـو لا يعلـم أنَّ ذلك سيكون سبباً في إنهاء زواجهما.

بعـد أن تعـالى صـراخها وقامـت بتكسـير كـل مـا وقـع تحـت يـديها ذهبـت لمنـزل أهلهـا وأصـرَّت علـى رفـع دعـوى طـلاق فلـم يُحـاول أن يردعهـا أو يصـالحها بـل شـعرَ كـأنَّ حِملاً ثقيلاً قد أُزيحَ عن عاتقه

ما إن تمَّ الطلاق حتى قالت له زوجته :

أنا حامل

كانـت فرحتـه لا تُضـاهيها فرحـة فقـد يَـئِسَ مـن أن يصـبح أبـاً بعـد أن عجـز مـن الـذهاب إلـى الأطبـاء وجميعهم قـالوا نفـس الكـلام :أنـت لا تعـاني مـن مشـاكل ولا زوجتـك لكـن لم يَشَأ الله بعد أن تُرزَقا بمولود

حينها فقط أدركَ فضل الله عليه وحكمته

انتهت...

****

*البداية الخاطئة ستقود لنهاية محتومة *

مرَّ خمس سنوات على ليلة طلاقي لكنها برأسي كأنها الأمس اعتقدْتُ كما يقال أنَّ الوقت سيمضي وسأنسى ما حصل لكنني لم أنسى ولن أنسى اليوم الذي أتتني به رسالة على الواتساب من فتاة كتبت لي :

أنا صديقة زوجك اعتني به فطوال الليل كنت أحادثه وهو متعب جداً لكن لا تخبريه أني قلت لكِ ذلك

كانت تلك الكلمة كالطَّلَ*قات النارية مزَّ*قت صدري شعرْتُ أنَّ أنفاسي ستنْقَ*طع كيف يحادثها طوال الليل وقد قال لي أريد الخلود إلى النوم اذهبي سنتكلم غداً ؟

لم أردَّ عليها بكلمة بل اتصلْتُ به على الفور ودموعي تنهمر بصمت

اتصلَتْ بي صديقتك وتقول أنكما كنتما تتحدثان مع بعضكما طوال الليل .

بدأ بالتلعثم:

ص ص لماذا اتصلت بكِ أغلقي الآن سأتكلم معها

تعالى صراخي حينها وبكائي بآن واحد :

يـا لوقاحتـك يـا رجـل سـتُكَلِّم حبيبتـك وتقـول لهـا لمـاذا كلَّمتـي زوجتـي ؟! تخـوننني مـن الآن ! انتظـر أن يـتم زفافنـا علـى الأقـل كشـفك الله لـي طلقنـي أيهـا الخـائن حمداً لله أنني لم أترك أهلي وبلدي وأسافر إليك بعد

أغلـق الاتصـال علـى الفـور ولمـدة نصـف سـاعة لـم تتوقـف دمـوعي لحظـة كنـت أبكـي بحرقـة كانـت الآهـات تخـرج مـن صـميم قلبـي إلـى أن اتصـلَتْ بـي صـديقته مـرات كثيـرة ولأنـي لـم أرد أرسَـلَتْ لـي رسـالة علـى الواتسـاب كتبت بها :

ألـم أقـل لـكِ أن لا تخبـري زوجـكِ ؟ إنـه منـزعج منـي كثيراً الآن بسببك

أصـابعي لـم تسـتطع أن تتحـرك لأكتـب لهـا شـتا*ئم لـم ألفظهـا قـط فحظرتهـا واتَّجَهْـتُ لعنـاق وسـادتي وإكمـال بكـائي لنصـف سـاعة أخـرى اتصـل كـل دقيقـة لكنـي لـم

أستطع الرد فلم يكن يخرج صوتي سوى بالصراخ والبكاء

عاد أبي ولمحض الصدفة باكراً حتى أمي التي ذهبت زيارة لمنزل خالتي لم تكن تعلم بعودته

ما إن فتح الباب حتى هرول نحوي

ابنتي ما بك؟! ماذا حصل ؟!

حاولتُ أن أقول السبب لكن صوتي لم يساعدني فاحتَضَنْتُهُ وأجهشْتُ بالبكاء لكن عندما رآني كيف قطعْتُ الاتصال على زوجي ورميتُ الهاتف جانباً عرف السبب فمسح دموعي وأمسك يدي واتجه بي نحو المغسلة ثم غسل وجهي وقال :

ابنتي قوية ابنتي لا يُبكيها شيء ومهما حصل ثقي أنَّ أباكِ بجانبكِ والآن أخبريني ما حصل

شعرتُ أنَّ إخباره بما حصل أشبه بأني أق*تل نفسي بِسُمٍّ بطيء ومن حينها بدأت رحلة معاناتي النفسية

بعد أن أخبرتُ أبي قال :

لقد قلتُ في قرارة نفسي على الرغم من أنه شاب فقير الحال لكن أخلاقه حسنة وسيصونكِ لا أستطيع استيعاب ما قام به نحن عائلة محافظة بمجتمع محافظ لسنا في دولة أجنبية لكن يبدو أنه تطبَّعَ بطباعهم بعد أن عاش معهم لكن كيف أخذَتْ رقمكِ منه ؟! والأنكى من ذلك أنها عربية

صَمَتَ أبي للحظات ثم قال :

اتصلي بأمكِ قولي لها أن تأتي بسرعة

لم تمضي نصف ساعة حتى كانت بيننا وما إن سمعت ما حصل حتى قالت:

اللع*نة عليه جهّزي نفسكِ وأنا سأتصل بأمي وأختي وعمته كي يلحَقْنَ بنا لمنزل أمه

ما إن طرقنا الباب وفتحَتْ لنا حتى رأينا الارتباك يعلو وجهها بل إنها لم ترفَع ناظريها إلينا وهي تدعونا إلى الدخول .

ما إن جلسنا حتى قالت أمي :

من الواضح يا أم أحمد أنَّ ملامحك توحي بأنَّ ابنكِ قد أخبركِ بما حصل

وقبل أن تفتح فمها رُنَّ الجرس وكاد الباب أن يُكْ*سَر

ما إن فتحت حماتي الباب حتى هرولت خالتي وجدَّتي وهما تقولان :

لم نفهم سوى أنه كُشِفَ على حقيقته ما الأمر ؟!

نظَرَتْ أمي لحماتي التي لم ترفع ناظريها عن الأرض وهي تفرك يداها ببعضهما و قالت لها :

أتتحدثي أنتِ أم أنا ؟!

ورنَّ الجرس فإذا بعمته بالباب وما إن رأتها أمي حتى بدأت بسرد ما حصل وعندما انتهت قالت لأمه :

ما تعقيبكِ على فعل ابنك ؟!

بدأت بالتلعثم وهي تقول :

إنها صديقته لا شيء مُحرَّم بينهما

فانف*جرت أمي بوجهها :

حـرَّم الله عليـه الجنـة تقـولينَ صـديقته وكأنهـا أختـه مـن المحـارم؟! ابنـكِ علـى علاقـة بـامرأة أخـرى والله وحـده يعلـم كيـف أمضـيا الليلـة البارحـة وهـل هـذه الليلـة الأولـى بينهما أم لهما ليالي سابقة ؟!

لا أسـمحُ لـكِ ابنـي شـريف وإن أخطـأ فـلا أحـد معصـوم عن الخطأ

انتفضت أمي من مكانها ثم قالت :

أنـا اتصـلت بـأمي وأختـي وأخـت زوجـك كـي يَكُـنَّ شاهدات على فعل ابنك والكلام الأخير لزوجي

عـدنا إلـى المنـزل وانمسـح مـن رأسـي كـل شـيء إلا جملـة حماتي الأخيرة لا أحد معصوم عن الخطأ

مـا إن دخلنـا حتـى قصَّـت أمـي لأبـي كـل مـا حصـل فقـال أبي :

كلامـي فـي الغـد سـيكون مـع أبيـه وأنـتِ لا تـردي عليـه بكلمة وأخبريني بكل ماسيقوله لكِ

لكن مرَّ يوم كامل لم يرسل لي حرف واحد

عاد في مساء اليوم التالي بعدما تحدَّث مع أبيه فسرد لنا قوله:

ابني أخطأ ولا نستطيع أن ننكر ذلك وهي زميلته في المصنع لا أكثر وكانا يتكلمان في تلك الليلة بمشكلات اعترضتهما في العمل وكان الحديث بمقاطع تسجيل صوتية أرسل لي ابني بعضها واستمرَّ الكلام بينهما بأنَّ ابني قد قال لها بأنه متعب من العمل خارج المنزل وداخله وينتظر بفارغ الصبر قدوم زوجته لكن من الواضح أنها استطاعت أخذ رقم ابنتكَ دون علمه وهو لأجل تصرفها ذاك قد قطع صلته بها فابني لا يزال يريد ابنتك.

صمت ابي للحظات ثم قال لي :

ابنتي لا دليل مؤكد بين أيدينا ربما هو بريء وهي امرأة بلا أخلاق لكن إن تم زواجك به فالطلاق محرم عندي حتى وإن ثبتت خيانته بعد ذلك ستصبرين وتحتسبين أما إن رغبتِ بالطلاق سيتم الآن بلمح البصر معكِ يومان أيام للتفكير لا أكثر وأنا أخبرت أبيه بذلك .

لـم أسـتطع رفـض العـودة إليـه أو الموافقـة فأنـا أحبـه مـن صـميم قلبـي لا بـل أعشـق كـل تفاصـيله فكـم دعـوت الله أن يكـون مـن نصـيبي وكـم خشـيتُ أن يـأتي يـوم لا يكـون فيـه بحيـاتي لكنـي وبـذات الوقـت لـم أسـتطع أن أتخيـل أنـه خـائن ولـم أسـتطع أن أسـتوعب أن تـأتي ذات المـرأة بيوم ما وتقول لي أحب زوجكِ

لجـأتُ إلـى الصـلاة والـدعاء كثيـراً فـي تلـك الليلـة كـي أسـتطيع أخـذ القـرار الصـائب وبلحظـة أتتنـي رسـالة فحلَّـق قلبـي فرحـاً بأنـه هـو لكنـي صُـعِقْتُ بأنهـا ذات المـرأة كتبت لي من رقم آخر :

عزيزتـي زوجـك يحبـك كثيـراً ويحبنـي أيضـاً أنـتِ فتـاة صـغيرة لـم تتعلمـي مـن تجـارب الحيـاة بعـد وأنـا امـرأة ناضـجة وتأكـدي بعـد زواجكمـا سـأزوركما كثيـراً وربمـا أُشاركِ به

أرسـلت الرسـالة مباشـرة لزوجـي فاتصـل بـي مـرات كثيرة وعندما لم أجب أرسل رسالة مكتوبة قال بها:

لقد كنت على علاقة معها أول سفري عندما تركنا بعضنا شهران آخر أيام خطوبتنا تعرفتُ إليها وأنتِ السبب تركتيني بسبب سوء فهم جعلتيني كالمجنون وعندما عدنا وأصبحتِ زوجتي مهدت لها أني سأنفصل عنها لكنها لم تستوعب كلامي فقد أحبتني من قلبها

حينها أدركتُ أنه كاذب عندما أقنع أمه وأبيه أنَّ لاشيء بينهما وانقبض قلبي خوفاً من أن تكون العلاقة بينهما قد تعمَّقت وأن أعرف ذلك بعد فوات الأوان لكنه حينما اتصل مراراً وتكراراً وألَحَّ عليَّ بالإجابة عليه تذكرتُ جملة حماتي بأنَّ لا أحد معصوم عن الخطأ لكن عدت وقلت في قرارة نفسي:

وإن عاد لتكرار الخطأ نفسه من سينقذني منه إن كان أبي المنقذ الوحيد قد أعلن انسحابه بعد ذلك .

لم أجد من نفسي سوى أن أخرج من غرفتي وأُري أبي رسالة زوجي وصديقته وما إن رآها أبي حتى قال :

تبريرٌ لعلاقة محرمة ربما تعاد بعد الزواج مراراً عند أي مشكلة أو سوء فهم بينكما أنا لا أعطي ابنتي لشاب بلا أخلاق والطلاق سيتم غداً

أخذ الهاتف مني كي لا يحاول الاتصال بي مرة أخرى وفي صباح اليوم التالي أحضر لي خطاً جديد وفي المساء أتى أبيه مع كاتب المحكمة كي يتم الطلاق وبعد أن تأكد أني تنازلتُ له عن كافة حقوقي قال : لقد طلقتها ثلاثاً.

دخلتُ في أزمة نفسية ثلاثة أشهر فلم أستوعب أنَّ الشاب الذي عشقته ودعوت الله أن يكون من نصيبي طلقني قبل سفري إليه بخمسة عشر يوماً مما جعل والدي يقرر أن تتقدَّم زوجة صديقه لرؤيتي لعلَّ زواجي يتم بأسرع وقت وأنسى بذلك جرحي .

شعرتُ أنَّ أيام خطبتي كانت أضغاث أحلام لم أشعر بها شيئاً فقد كان رجائي فقط أن أنسى بهذا الزواج طليقي واستمرَّ عدم إحساسي لبعد الزواج بثلاثة أشهر فقد صحوت من غيبوبتي فجأة وأنا أصرخ بكلمة طلقني لا أحبك تعرَّضتُ للتوبيخ من أبي كثيراً

وللضـر*ب مـن زوجـي الـذي لـم يتوقـف يومـاً عـن لـوم والديـه بأنهمـا السـبب بزواجـه مـن فتـاة مطلقـة فبـات يشـك بنظراتـي وحركـاتي وحاوطـه الشـك لدرجـة أنـه لـم يرغـب حتـى أن ألقـي التحيـة علـى أخيـه فقـد خشـي أن أخو*نـه مع أي شخص ينسيني طليقي كونه لم يستطع هو ذلك

أيقنـتُ حينهـا أنَّ معانـاتي كلهـا كانـت بسـبب مـا اقترفـت يـداي وأنـي كمـا خنـتُ ثقـة والـداي فقـد خـانني حبيبـي كـوني ذهبـتُ معـه مـراراً أيـام الخطوبـة للحديقـة سـراً وسـمحتُ لـه بـالاقتراب منـي ولمـس يـدي فعـاقبني الله علـى ذلـك لتتطـور معانـاتي عنـدما وافقـتُ علـى الـزواج من رجل كي أنسى رجلاً آخر

كنـت أعلـن الحـداد كـل سـنة بليلـة طلاقـي فقـد كـان مظهـري يبـدو كمـن تـوفي لهـا عزيـز فلـم يعـد النـدم يفارقني كوني لـم أسامحه وأتمسَّكَ بـه وأقف بوجـه العـالم لأجلـه فـأبقى ليـالي أتـذكر أيـام الحـب التـي عشـتها معـه ممـا جعلنـي أمقـت زوجـي ويمقتنـي فنتشـاجر علـى كـل كلمـة وردة فعـل فيعلـو صـراخي فيضـر*بني فيـزداد خصـامنا أياماً أخرى

حمدتُ الله بكل سنة تمضي أنني لم أحمل إطلاقاً وبعد أن قام بعرضي على أطباء لعلَّ حملي ينسيني حبي تبيَّن أنه استحالة أن أحمل ما لم تتحسَّن نفسيتي وبعد مضي خمس سنوات ضاق بي ذرعاً لكثرة المشاكل التي افتعلها فطلقني وكانت تلك الليلة من أسعد ليالي حياتي .

عدت لمنزل أهلي أنا وذكرياتي التي لم تفارقني يوماً وبعد مضي بضعة أشهر سمعت وبمحض الصدفة كلام أمي مع أبي :

اتَّصلَت أم أحمد بي صباحاً ودعتني لاحتساء القهوة عصراً للحديث بأمر هام

اذهبي لنسمع ما تريد قوله

مضت الساعات عليَّ كأنها سنوات، إلى أن عادت أمي وبدون أن تتكلم معي ندهت لأبي فلم أجد سبيلاً إلا أن أسترق السمع :

طليق ابنتنا قد طلَّق زوجته وهي ذاتها التي كان على علاقة بها أثناء زواجه بابنتنا والسبب أنه سمعها وهي

تتحدَّث مع رجل على الهاتف وبعد مراقبته لها تبيَّن له أنها تخ*ونه مما جعله يطلقها ويأخذ ابنته منها ويعود للوطن وهو بمنزل عائلته منذ بضعة أشهر وبالتحديد بعد طلاق ابنتنا ببضعة أيام ولأنَّ أمي لم تتوقف عن زيارة أم أحمد أخبرَتها أنَّ ابنتنا لم تنجب أطفال ولهذا السبب طلقها زوجها وهي تريد أن تخطبها لابنها .

تساقطت دموعي من الفرح وأنا أنتظر ردَّ أبي لكن حينما طال صمته انقبض قلبي خوفاً من أن يرفض فقال :

أخبريهم أنَّ قدومهم مع ابنهم سيكون بعد يومين برفقة المأذون لعقد القران وليلة الزفاف بعد أسبوع غير ذلك لا بنات عندنا للخطبة .

حلَّقتُ فرحاً وبلحظة نسيت كل سنوات الحزن والدموع التي عشتها وكان يوم عقد قراني أروع يوم في حياتي نظرت له بطرف عيني بابتسامة ونظرة خجل وهو بالمقابل تجنَّب النظر إلي وبعد أن أصبحتُ زوجته قال أبي:

مبارك لكما وممنوع أن تأخذا أرقام بعضكما ولن تَرَيا بعضكما البتَّة إلا بعد ليلة الزفاف

تعالت ضحكات الجميع إلا أنا وهو فقد كان الخجل يغلب علينا انتظرت ليلة الزفاف بفارغ الصبر إلى أن أتت الليلة التي كنت أظنها مستحيلة وباللحظة التي ارتديتُ بها الفستان الأبيض شعرت كأنَّ العالم قد خلا من الناس إلا أنا وهو وعاهدنا الله وأنفسنا بتلك الليلة أن لا نسمح لإنسان ولا لمشكلة أو سوء فهم أن يُبعدنا عن بعضنا أو حتى يحزن أحدنا من الآخر لأي سبب كان ونسينا بتلك الليلة كل ما مضى وعاهدته أن أضع ابنته بقلبي وتصبح غلاوتها عندي بغلاوته ولم تمضي بضعة أشهر حتى حملتُ مما جعله يرعاني كأني طفلة صغيرة ليزداد فرحه عندما تبيَّنَ أني حامل بصبي ولدت ابني واكتملتْ لوحة السعادة التي طالما حلمت بها .

انتهت

****

المتنمّر

كان يرى أنَّ عيبه الوحيد هو صراحته التي كان يصفها أقرب الناس إليه بالوقاحة مع أنه كان يُغَلِّفها بالمزاح لكنه عُرِفَ تدريجياً بلقب المتنمّر

كان لزوجته النصيب الأكبر من صراحته التي بدأت في أول أسبوع بعد الزواج عندما طبخت له الأرز وكانَ أشبه بقالب الحلوى فقالت له بابتسامة خجولة:

أعتذر مع الوقت سأتعلم الطبخ

فردَّ بسخرية باسماً:

إن تعلَّم حديث الولادة الكلام والمشي بعمر الشهر ستتعلمين الطبخ

صمتت من الدهشة

عاد موقف جديد بعد بضعة أيام عندما ارتدت فستانها وهمَّا بالذهاب لمنزل عائلته فقال لها باسماً:

عندما ترى أمي طبقات اللحم الزائدة ستخاف أن تخ*نقيني ونحن نائمان ابلعي بطنك لئلا يعتقد أحد أنك حامل قبل زواجنا وبشهورك الأخيرة

تمالكت نفسها بشق الأنفس لئلا تبكي

ما إن دخلا لمنزل عائلته حتى قال :

مع أنَّ زوجتي بلعت بطنها لكنها تبدو بمنتصف شهور الحمل وأرجو ألا تفهمونا بشكل خاطئ فحتى لو قامت باتباع نظامٍ غذائي ستبدو حينها بأول شهور الحمل

ثم تعالت ضحكاته وهو يصفق بيديه لكنها تمنَّت بتلك اللحظة أن تنش*قَّ الأرض وتبتلعها فدخلت إلى المطبخ وانهمرت دموعها بصمت وهي لا تعلم أنَّ أخت زوجها تراقبها

قبل أن يدخل زوجها إلى المطبخ هرولت أخته نحوها وقالت :

اتبعيني إلى غرفتي وتجَنَّبي النظر حولك

تبِعَتْها بدهشة وتساؤل عما تريد وما إن دخلَت حتى قالت لها :

زوجك مشهور منذ أن أصبح مراهقاً بوقاحته المفرطة وكان ذلك بسبب تنمّر زملائه عليه في الصغر ومع أني وجدتُ علاجاً له بمجهدوي الشخصي وبدون تدخل طبي لكنه من الواضح أنه عاد كما كان بعد زواجه منكِ وغداً سآتي لمنزلكما بعد خروجه كي أعطيكِ علاجه وترتاحي منه وتريحينا قبل أن تتفاقم حالته من جديد ويصبح لنا من كلامه نصيب .

بعد أن أعدَّت القهوة قالت لها :

كان أجدادنا يقولون دوماً داوها بالتي كانت هي الداء وبما أنَّ داء زوجك هو بسبب تنمر زملائه عليه فسوف تعالجيه بنفس الداء أي أن تتنمّري عليه أيضاً

قالت بصدمة :

لكني لا أستطيع لستُ من هذا النوع من الناس غير ذلك لم أعتد عليه بعد

إذاً دعيه يتمادى كي يجعلكِ محطَّ سخرية وحديث أمام كل الناس

دفعتها تلك الجملة للتفكير جدّياً بكلامها والأخذ به وعندما عاد زوجها من العمل قالت له:

وجهُكَ هزيلٌ أصفر نحيل يشبه مومياء مصر

رمقها بنظرة غضب :

المرأة المحترمة تقول لزوجها عند عودته من العمل أمدَّك الله بالصحة والعافية ولو كنتُ رجلاً عصبياً كان يجب أن أطبع أصابعي على خدِّك الآن لكني سأتجاهلك

جلست تبكي كطفلة وهو يقف كتمثال محنَّط مندهش ثم قال:

هل يجبُ أن آتي الآن لأُخَفِّفَ عنكِ وينتهي الموقف باعتذار مني وبالنهاية أكون أنا المخطئ ؟!

قالت له بصوت يبكي :

إذاً اعتذر مني على نعتي بالحامل أمام أهلك بسبب وزني الزائد فلقد جرحت شعوري كثيراً

كنت أمزح

هذا ليس مزاحاً يا رجل إنه تنمّر

هـذه الموَّشـحة سـمعتها مـن أختـي قبـل الآن وحاولَـت أن تفعلهـا معـي لكنهـا لـم تـنجح فـلا أحـد دمـه خفيـف مثلـي لكنـي توقَّفْـتُ فتـرة عـن مزاحـي بسـبب وفـاة صـديقي المقرب لا أكثر

انفجرت بوجهه غاضبة :

مـا علاقـة هـذا الكـلام بـذاك توقـف عمـا تقولـه وانتهـى الأمر

لـــن أتوقـــف وإن اســـتطعتِ أن تكـــوني بهضـــامتي لا تقصري

أغلقـت الموضـوع معـه وكـأنَّ شـيئاً لـم يكـن وذهبـتَ إلـى أختـه فـي صـباح اليـوم التـالي وعنـدما قالـت لهـا مـا حصـل انفجرَ*ت ضاحكة :

زوجـكِ لقـد عـاد كمـا كـان بعـد زواجـه منـكِ لأنَّـه علـى يقـين أنـكِ لـن تسـتطيعي الـردَّ بوجهـه ولـو لا أنـي تنَمَّـرتُ عليـه أمـام أهلنـا وأقربائنـا أكثـر مـن مـرة مـا كـان ليتوقـف وعلَّمـتُهم أيضـاً أن يـردّوا لـه تنمّـره بالمثـل ولأنـي لـن

أكــون معكمــا عنــدما تــذهبا لمنــزل عائلتــكِ وأقربائــكِ ســتتعلَّمينَ منــي عنــدما تأتيــان لزيــارة أهلــي كــل أســبوع انتظري بضعة أيام وستَرَيْنَ ما سأفعلهُ بزوجكِ

أتــى يــوم زيارتهمــا لمنــزل عائلتــه فاســتغلَّت أختــه نهمــه للطعــام وأثنــاء غوصــه بــين أطبــاق الغــداء قالــت لــه بابتسامة :

مابــكَ يارجــل ! مــن الواضــح أنــك قمــت بتجويــع نفســكَ يومين حتى تلتهم الطعام بتلك الطريقة

قال بدون أن ينظر لها:

بدل أن تقولي بالهناء والشفاء

ردَّت ضاحكة:

بالهنــاء والشــفاء طبعــاً لكــن مــا يــدعو إلــى الدهشــة أنــك تأكــل طعامــاً عــن قبيلــة وتــزداد نحافــة واصــفرار بــدل أن تتخن و تتورَّدَ وجنتاك

لقد شبعت

حــاول أن يفــتح حــواراً مــع والديــه بعــد أن شــبعا فقالــت لــه بصوت يضحك :

بـالله عليـك أشـعر وكأنـك تـتكلم اللغـة الهنديـة ألـم تـتعلم كيفيـة ترتيـب الكلمـات لتكـوين جمـل تناسـب الموضـوع الـذي تتحـدث بـه فمنـذ طفولتـك لا تكمـل حـواراً واحـداً بدون أن تُدخِلَ إليه جملة من الشرق وجملة من الغرب

انتفضَ من مكانه وطلب من زوجته الاستعداد للذهاب

اكتفـى الوالـدان بـأن يطلبـا منـه البقـاء ولـم يُعاتبـا ابنتهمـا كونهمـا يعلمـان أنَّ مـا تقـوم بـه لمصـلحة أخيهـا كـي لا تتفاقم تصرفاته وتكون السبب بإنهاء زواجه

عادا إلى المنزل وكانت تعابير وجهه لا تُفَسَّر

حضَّرَت زوجته فنجانين من القهوة وقالت له :

مابكَ ؟! يبدو عليكَ الانزعاج

فرَدَّ وهو ينظر إلى الأرض مُقَطَّب الجبين :

كيفَ لا أنزعج ؟ ألم تسمعي الذي قالته أختي ؟

-سـمعت طبعـاً لكنهـا تمـزح وعـن نفسـي أضـحكني كلامها

أيُّ مزاح هذا ؟! وقد كان كلامها في المرة الأولى كأني بخيل أنتظر اليوم الذي سآكل فيه عند أهلي وفي المرة الثانية أني أبله لا أعرف الكلام قالت كل ذلك بدون أن تراعي أنَّكِ جالسة معي وبكلامها ستهتّز صورتي أمامكِ وربما تستمرَّ بذلك عندما أصبح أباً فالبتالي سيتكلم معي صغاري بأسلوب سخرية

ردَّت بابتسامة خفيفة :

عزيزي أنت أخذْتَ كلامها بمنحىً آخر لأنه موجَّه له ففسّرْتَهُ بسخرية على الرغم من أنها كانت تمزح ومزاحها مضحك لكن بما أنَّ ما قالته كان يخصك فقد جرحَ*تْ به شعورك

نظر إليها بعينين حزينتين:

ألهذا الحدّ جر*حتُكِ في الكلام عندما قلته أمام أهلي

طبعاً حتى عندما قلت لي أني سأتعلم الطبخ إنْ تعلَّم حديث الولادة المشي والكلام بعمر الشهر

أعتـذر جـداً اعتقـدْتُ أنَّـي خفيـف الظـل ولـم أعـي الأذى النفسـي الـذي تسـبَّبْتُ لـكِ بـه وأعـدكِ ألا أُعيـدَ طريقـةَ الكلام تلك

حلَّقت فرحـاً لسماع ذلـك الكـلام وفـي صـباح اليـوم التـالي اتصلَتْ بأخته وتشكَّرَتها فقالت لها :

علـى الرحـب والسـعة وأنـا لـن أُضـايقه مـرة أخـرى لكـن إن عاودَ إزعاجكِ سأزيد جرعة المضايقة للضعف

انتهت .

****

أحياناً لا نعرف أنَّ أقرب الناس لنا كأعدائنا

وكـأنَّ القَـدَرَ سـاق عائلتهـا لدولـة أخـرى كـي يـتمَّ زواجهـا وما إن تمَّ حتى عادوا لبلدهم الأم .

شـعرَتْ أنهـا وحيـدة فـي العـالم مـع أنَّ زوجهـا رجـل بـالثلاثين يكبرهـا بعشـر سـنوات لا عيـبَ فيـه أخلاقيـاً لكنهـا شـعَرَت أنـه لا يشـبه روحهـا وتفكيرهـا بعيـدٌ عنهـا كل البعد برغم قربـه مما جعلها تطلب منـه الطَّلاق بكل هـدوء وعنـد رفضـه ذلـك بـدأت المشـاكل تتفـاقم بينهمـا علـى أتفـه الأسباب فلم تجد مكانـاً تلجـأ إليـه سـوى الغرفـة المجاورة لغرفتها.

حاولـت حماتهـا تحـر*يض ابنهـا علـى تطليـق زوجتـه يوميـاً بحكـم أنهمـا يقطنـان معهـا ببيـت العائلـة فكانـت تقول له دوماً :

سأخطب لكَ أجمل وأصغر منها

حتى مع إقناع أخواته الثلاث له كي ترتاح أمهم من سماع مشاكلهما لكنَّه لم يكن يرى سواها امرأة في الوجود

لحين عادَ أخيه الأصغر من السفر ليستقرَّ معهم بعد أن خسر نقوده في بلاد المغترب ففتحت الأم ذراعيها له وحلَّقَت الأخوات فرحاً برؤيته فقد كان محبوب العائلة يمدحونه دوماً وكأنَّ أخاهم الأكبر لا وجود له في الحياة .

رأَتْ الزوجة بأخ زوجها كل المواصفات التي تعشقها المرح وخفّة الظل واللباقة في الحديث وأسلوب الأناقة في ارتداء الملابس كما كانت تحب أن ترى زوجها به فطلَبَت من زوجها ارتداء الملابس كأخيه فانف*جر بوجهها غاضباً:

لم يكن ينقصني سوى معجبة أخرى بأخي.

سمعت إحدى أخواته كلامه فقالت لزوجته:

زوجك يغير من أخيه كوننا جميعاً نتَّفق معه أكثر منه فهو يفهمنا ويسمعنا ويناقشنا كأنه أبينا على الرغم من

أنـه أصـغرنا سـناً وهـو كـريم لحـدِّ التبـذير والنقـود التـي فـي جيبـه ليسـت ملكـه يصـرفها علينـا كلهـا فلـو طلَبَـت إحـدانا قطعـة حلـوى كـان يجلـب لهـا صـندوق حلويـات عكـس زوجـكِ الـذي لا يفهـم أحـداً ولا يسـمع أحـد غيـر أسـلوبه المُنَفِّـر فـي الحـديث الـذي يجعلنـا لا نطيـق سـماعه حتـى مـا عـدا أنـه لا يصـرف النقـود إلا علـى الـلازم الضـروري ولأنَّ أخـوه الأصـغر يكبـركِ بخمـس سـنين فقـط فـذلك سـيجعل زوجـك يغيـر غيـرة مضـاعفة كونكمـا متجـايلان فحـاولي قـدر الإمكـان أن تتجنَّبيـه كـي لا تشتعل المشاكل بين الأخيّن

فكَّـرَت الزوجـة بكـلام أختـه كثيـراً ممـا جعلهـا تنجـذب نحـو أخـا زوجهـا وتفضـل الحـديث معـه كثيـراً وعنـدما لاحـظ ذلـك بـدأ بتح*ريضـها ضـدَّ زوجهـا لطلـب الطـلاق وتقب*يح كل تصرف أو فعل يقوم به قائلاً:

أعانـكِ الله عليـه فعـلاً إنـه رجـل لا يحتمـل لـو كانـت أي امرأة مكانك لهربَت منذ أشهر .

فازداد المشاكل بينهما

سـمع زوجهـا ذات مـرة و بمحـض الصـدفة أخواتـه الثلاث يتهامَسْن:

أرأيـتُنَّ الانجـذاب بـين زوجـة أخـيكم الأكبـر وأخـيكم الأصـغر لمـاذا لا نسـاعدها بـالطلاق ونجعلهـا زوجـة أخينا الآخر؟

فـذلك سـيجعلنا نضـمن قربـه لنـا وعـدم زواجـه مـن أخـرى تبعده عنا

بعـد أن سـمع مكيـدة أخواتـه لـم يتشـاجر معهـنَّ مـن هـول الصـدمة بـل أخبـر أمـه مـا سـمع فوَبَّخَـت بناتهـا وحـذَّرت ابنهـا مـن الحـديث مـع زوجـة أخيـه وذات ليلـة قالـت لزوجة ابنها :

عزيزتـي إنَّ زوجـك هـو أفضـل أولادي خُلُقـاً وهـو مُحَبَّـب لقلبـي فقـد كـان الولـد الوحيـد الـذي ظلمـه المرحـوم زوجـي كـان يعنّ*فـه منـذ أن كـان عمـره سـت سـنوات لا يكـفُّ عـن ض*ربـه لـيلاً ونهـار لأتفـه سـبب بحجـة أنـه الابـن الأكبـر وسـيكون الرجـل فـي المنـزل بعـد وفاتـه فقـد كـان باعتقـاده أنَّ الـض*رب هـو الوسـيلة الوحيـدة لجعلـه

رجلاً مع الاسف أني لم أستطع الوقوف بوجهه فما إن أمنعه من ض*ربه حتى يضر*بني معه مما جعله ينشأ بنفسية متعبة يغضب لأتفه سبب كان ولأنَّ عقله أصبح مضطرباً لم يستطع سوى أن يتمم المرحلة الابتدائية مما جعله يعمل ليلاً ونهاراً في الحدادة كي يستطيع أن يؤسس حياته بدون مساعدة أحد مما جعله لا يصرف النقود إلا وقت الحاجة لا يُبذّر كأخيه الذي تخرَّج من كلية الصيدلة ولأجل تبذيره كما تعلمين قد خسر نقوده في بلاد المغترب .

ثم تنهَّدَت وتابعت :

أما إخوته يا عزيزتي فلم يتَقَبّلوا تفكيره و دماغه التي تختلف عنهم بشكل كلي مما جعلهم يعاملونه وكأننا تبنَّيناه

بماذا يختلف عنهم أمي؟

يحبون دوماً القيام بالأشياء الخاطئة كأذية أحد أو قضاء عطلة نهاية الأسبوع في مقهى يستضيف مطرباً مع شرب السجائر والنّراجيل وأصوات الضحك

والمـزاح وهـذا الـذي يسـتهجنه زوجـك ويقـوم بالشـجار معهـم كـل مـرة وتعكيـر مـزاجهم فهـم يريـدون أن يعكّـروا مزاجه بطلاقه منك كي ينشغل بنفسه عنهم

سـمعت الزوجـة كـلام حماتهـا واحـت*رق فؤادهـا حزنـاً علـى زوجهـا وشـعرت بتأنيـب الضـمير علـى كـل مـرة طلبـت بهـا الطـلاق ومـا إن طَلَبَـت منـه الاسـتقرار بمنـزل منعـزل عـن عائلتـه والبـدء بحيـاة جديـدة حتّـى وافـق علـى الفـور ثـمَّ غيَّـر أسـلوبه بارتـداء الملابـس وأصـبح يشـتري كـلَّ ملابسـه مـن اختيارهـا فـزادَت المـوَدَّة بينهمـا ولـم تمضـي بضـعة أشـهر حتـى حَمِلَـتْ وحلّقـا معـاً بسـعادة غامرة ازدادَتْ عندما بان حملها بتوأم .

انتهت

****

*كان خارجه ذهباً *

كنتُ أحيا دوماً على مقولة بالحب تُعاش الحياة لا يهمني الشابُّ الذي سأرتبطُ به إن كانَ متوسط الحال أو فقيراً لا يملك إلا قوت يومه لحين أخذَ شاب كل تفكيري عندما انتقلنا للبناية التي يقطن بها أهل أمي وذهبنا لزيارة جارةٍ تربطها بجدتي عِشْرَةُ عُمر وما إن طرقنا الباب حتى فتح شاب ودعانا للدخول بابتسامة بسيطة وهو ينظر إلينا بعيون حسبتُها لبرهة أنها تضيء نوراً ثمَّ همَّ بالخروج.

رأتني الجارة و قالت لي :

سبحان الله ماهذا الجمال الأخّاذ؟! جعلكِ الله من نصيب ابني الأصغر وسيم الذي خَرَج للتو

كدتّ أذوب خجلاً كقالب ثلج لكن أمي أعادتني لرشدي قائلة:

ابنتي ستكمل دراستها أي زواج وهي بعمر السابعة عشر

ردَّت الجارة على الفور :

ومافائدة الدراسة إنْ كانت نهايتها ببيت زوجها حالها كحال جميع فتيات الأرض

غيَّرَت أمي الموضوع على الفور كي لا تُشَتت تركيزي عن دراستي لكن حينها فعلاً قد شُتِّتَ تركيزي وبتُّ أسترجع ملامح الوسامة وأنا أقول في قرارة نفسي:

سبحان الله اسمٌ على مُسمّى

فقد كان شاباً طويلاً أشقراً ذا عيونٍ بلون العسل لو أُتيحَت له الظروف كان يجب أن يعمل ممثلاً أو مطرباً أو عارضَ أزياء لكن الظروف التي مرَّ بها جعلَتْه يتنقل من عمل لآخر فأحياناً عَمِلَ بائعاً متجوّلاً وأحياناً حارسَ بناية وأحياناً سائق شاحنة محملة بالبضائع وسائقَ سيارة لتوزيع منتجات لشركات مختلفة .

مضَتْ أياماً رأيته بها بشكل يومي وأنا ذاهبة للمدرسة وكأنَّ الصدفة تركت العالم وقرَّرَت أن تجمعني به يومياً

أوّل مرة ألقى التّحية عليَّ من بعيد وبعد ذلك قال لي :

هل تسمحينَ لي بمرافقتكِ لأول شارع المدرسة ؟! .

بكل مرة كنتُ أومِئُ رأسي بالموافقة مع ابتسامة تشع خجلاً فيقضي الطريق يسألني تارة عن دروسي وتارة عن طعامي المفضل وتارة عن أغنياتي المفضلة ويجيبُ بنفس الوقت على أسئلته وكأني عاوذْتُ سؤاله بها.

بدأتُ أشعر كأنه مغناطيس يجذبني أتأنق يومياً للقاءه لحين دخل أخي وشرار الغضب يتطاير من عينيه وهو يصيح قائلاً:

أينَ أنتِ يا معدومة التربية يا ابنة المدارس إنْ لم يعرف أباكِ كيفَ يربيكِ فسأفعل أنا ذلك

ردَّت أمي غاضبة :

احترم ذكرى المرحوم أباك

ولماذا لاتقولي لابنتكِ بأن تحترم ذكرى أباها؟ فقد رأيتُ شاباً طويلاً أشقراً يلوّح لها بابتسامة وهي تلوّح

لـــه قُبَيـــلَ دخولهـــا المدرســـة ولأنَّ الميكروبـــاص كـــان مزدحماً لم أستطع أن أنزل وأُبرِحهما ضر*باً.

سـاد الصـمت دقـائق وأنـا بغرفتـي أرتجـف خوفـاً مـن أخـي وفجأة طرقت أمي الباب وقالت لي:

أنـا ذاهبـة لأم وسـيم وأخـاكِ معـي لكـن تحسّـباً لا تخرجـي من غرفتك لحين عودتي

مضـت سـاعتين أحر*قتـا أعصـابي لحـين عـادت أمـي وقالت :

أم وسـيم طلبـت يـدكِ لابنهـا وشـرطهم الوحيـد أن تتـوقفي عـن الدراسـة أمـا إن رفضـتِ ستسـتمرين بالدراسـة وحينهـا سـننتقل لمنـزل آخـر كـي لا يـراكِ مـرة أخـرى أما إن وافقتـي فسـتأخذين الشـهادة الثانويـة بفتـرة الخطوبـة وتتركي الدراسة بعدها

صـمتَتْ لبرهـة وكـادت أن تـتم*زّق جفـوني مـن الصـدمة ثمَّ تابَعَت:

معـكِ يومـان للتفكيـر لـن تـذهبي بهمـا إلـى المدرسـة وخَرَجَت.

أعطيْتُ موافقتي في اليوم التالي فقد كنتُ مستعدة أن أتخلى عن دراستي ومستقبلي لأجله فلم أستطع أن أتخيل لحظة حياتي بدونه فكيف سأستطيع الانتقال لمنزل آخر وعدم رؤيته إلى الأبد !

مدَحَت جدتي بأخلاقه الحسنة وأدبه كونها تعرف أمه منذ عشرين سنة عندما كان في الخامسة من عمره لكن أخي لم يكتفِ بكلامها فسأل عنه الناس بمكان عمله والجيران والأقارب والكل أشادَ بأخلاقه الحميدة.

تمَّت الخطوبة بعد أن أنهيتُ الامتحانات الأخيرة بالصف الثاني الثانوي ثمَّ تبادلنا الأرقام كي نتعرّف على بعضنا أكثر

مع أنَّ أخي حذَّرني واشترط عليه عدم رؤيتي إلا في منزلنا لكننا كنا نلتقي بالسر وبشكل شبه يومي مما جعلني أتغيَّب عن المدرسة أكثر الأيام لكي أراه في الحدائق والمقاهي البعيدة عن منزلنا ونحن متشابكي الأيدي مما جعل مستوى تحصيلي العلمي يتراجع ثم رَسَبْتُ بامتحانات الترم الأول فقال لي والبسمة تغمر وجهه:

لاعليكِ عزيزتي أحضري كازاً وأحر*قي كتبكِ فلا فائدة منها.

أخذتُ كلامه من باب المواساة وضاعَفْتُ مجهودي الدراسي لعلّي أتفادى التقصير الكبير الذي حصل مما جعلني أعتذر بلباقة عن الذهاب معه للتسكّع بأغلب الأيام فانفج*ر بوجهي قائلاً :

هذا يعني أنَّ الدراسة عندكِ أهم مني لتعيدي التفكير بعلاقتنا فربما أنتِ لا تحبيني

لم يعطني مجالاً للشرح له بأنَّ لا مجال للمقارنة وأنَّ الشهادة الثانوية سآخذها فقط لغ*در الزمن فقد حاولْتُ الاتصال به كثيراً ومراسلته على الواتس آب والماسنجر لكنه كان يقرأ رسائلي ولا يرد

مضَتْ بضعة أسابيع تشتَّتْتُ بينه وبين دراستي فلم أستطع أن أُخبِرَ أحداً بسبب خصامنا كون لا أحد يعلم بلقاءاتنا حتى أمي فكنتُ اضطر أنْ أُجيبَها عندما تسألني عند سبب عدم مجيئه لزيارتنا إطلاقاً بأنه لا يريد أن يُشَوّش تركيزي على دراستي لحين شاء القدر

أن نُقَـرِّرَ أنـا وزميلاتـي التغيّـب عـن المدرسـة والتسّـكع بـآخر يـوم قبـل إجـازة الامتحـان وقادَتنـا أقـدامنا لـنفس الشـوارع التـي سـرتُ بهـا مـع وسـيم فاغرَورَقَـت عينـاي بالـدموع شـوقاً لـه وكيـف أنـه اسـتطاع أن يتجنّـب رؤيتـي كـل تلـك الأيـام إلـى أن دخلنـا لـنفس الحديقـة ورَأَيْتُـه جالساً على المقعد بجانب فتاة ممسكاً يدها ..

وقَفْـتُ كتمثـال محـنّط وانهالـت دمـوعي بغـزارة وصـديقاتي ينظـرْنَ بـذهول وعنـدما صـرخْتُ وسـيييم نظَـرَ لـي وانـتَفَضَ مـن مكانـه قـائلاً حبيبتـي ثـمَّ تقـدَّم بضـع خطـوات نحـوي وهـو يقـول : دعينـي أشـرح لـكِ لكنـي تراجَعْـتُ إلـى الـوراء وأنـا أصـرخ: إيـاكَ أن تقتـرب فوقَفَـت صـديقاتي أمامـه كحـاجز وتصـدَّرَتْهُنَّ أجـرأَهُنَّ قائلة :

إنْ حاولْـتَ اللحـاق بهـا سـتكونَ اليـوم ترينـد علـى مواقـع التواصل الاجتماعي

فهروَلْتُ للبيت ودموعي تنهمر كشلال

حمَـدْتُ الله أنَّ أمـي وأخـي لـم يكونـا فـي المنـزل فرميـتُ بنفسـي علـى السـرير وبكيـتُ بحر*قـة لسـاعة كاملـة وأنـا أشــهق بآهــات مزَّ*قَــت قلبــي ثــمَّ أخرَجْــتُ هــاتفي مــن حقيبتـي فرأيـتُ بـه خمسـين مكالمـة فائتـة منـه فأرسَـلْتُ لـه على الواتس آب ودموعي لم تتوقف لحظة :

لقـد وصـلنا لطريـق النهايـة وانتهـت قصَّـتنا قبـل أن تبـدأ فالـذي جعلنـي أتخلـى عـن مسـتقبلي ودراسـتي لأجلـك أنّـك ذا أخـلاق حميـدة و لـم يـذمَّ أحـد بـك لكـن مـن الواضـح أنـك لسـت نصـيبي فنصـيبي منـك فقـط كانـت الخيانـة حتـى قبـل زواجنـا اليـوم أو الغـد كأقصـى حـد سـتأتيكم أمـي بكـل الأغراض التي أحضرتَها لي.

ثـمَّ أكمَلْـتُ البكـاء ولـم أسـتطع أن أُقْفِـلَ هـاتفي لعلّـي أتراجـع عـن القـرار الـذي أخذتُـه إن كتـبَ شـيئاً يُبَـرِّدُ نـار قهـري وبعد بضعة دقائق أرسل :

إنهـا فتـاة عرفتهـا قبلـكِ ولقـد قـرَّرتُ مسـبقاً أن أنهـي علاقتــي بهــا لأنــي لــم أحبهــا لكــن بالتــدريج كــي لا أجر*حهـا كونهـا عشـقَتني مـن صـميم قلبهـا وعنـدما رأيتينـي ممسـكاً يـدها كنـتُ أُهَـوِّنُ عليهـا قـائلاً بأنهـا فتـاةً

تستحق أن تُحَبَّ من شاب أفضل مني وأنَّ اليوم آخر لقاء بيننا ولن أستطيع أن أستمرَّ أكثر معها عزيزتي أنا أحبكِ أنتِ ولو لم أكن أحبك كنتُ خطبتُها هي عوضاً عنكِ أرجوكِ عودي لرشدكِ وفكري بكلامي قبل أن تنهي علاقتنا .

تضارَ*بَتْ الأفكار برأسي فمن ناحية رأيتُ كلامه به شيء من المنطق ومن ناحية أخرى لم أتقبَّل فكرة أنه كان كل تلك المدة مع فتاة أخرى ومعي بوقت واحد وفجأة سألتُ نفسي سؤالاً : وما الذي يضمن لي أنّه صادق؟! جعلني ذلك السؤال أتراجع خطوات إلى الوراء وأنا أقول لنفسي :

هل ستتثقينَ به بعد الزواج ؟! بالطبع لا فلن تتوقفي عن الشك به ومراقبته وربما مُلاحقته .

وفي خِضَمِّ أفكاري عادت أمي إلى المنزل وما إن دخَلَت حتى هرولْتُ إليها وأخبرتها بكل ما حصل وبالكلام الذي أرسَلْتُهُ له وأرسَلَهُ لي ومن فرط الحزن قلتُ لها بدون تفكير وأنا أبكي :

أمي لقد رسَبْتُ بالتّرم الأول بسبب أني كنتُ أتغيَّب عن المدرسة أغلب الأيام كي ألقاه خارجاً ونتحادث أكثر ونفهم بعضنا كوننا لا نستطيع أن نتكلم براحة أمام أخي لكن وبناءاً على كلامه فهو كان يلقانا نحن الاثنتين بوقت واحد .

فردَّت أمي:

يا ابنتي بغضّ النظر عن الخطأ الذي ارتكَبتيه فبرأيي الشخصي هو شابٌ أخلاقه ليست سوية فمن يرضى أن يأخذ خطيبته خلسة للحدائق والمقاهي وهي بلباس المدرسة غير مبالي بنظرات الناس لها لا عجبَ أن يقابل غيرها بنفس الوقت

صمتَتْ لبرهة ثم تابَعَت :

عزيزتي القرار بيدكِ وحدكِ إن شئتِ استمرَّيتِ معه أو انفصلتي عنه لكن ضعي برأسكِ أنَّ لا طلاق بعد الزواج حتى لو بَدَرت منه خيانات متتالية ستأخذين الله حسبكِ وتوكلي إليه أمركِ وتدعي له بهداية زوجكِ فقط لا غير وأنا لن أعاتب أمه كونها ستقول نفس كلام

ابنهـا وتبـرر لـه فمـن الواضـح أنهـا ترغبـكِ زوجـة لـه حتـى أكثـر منـه فقـد قالـت لـي عنـدما ذهبـتُ إليهـا بـاليوم الذي رآكِ أخاكِ به :

لـن يجـد ابنـي فتـاةً مثـل ابنتـكِ بتربيتهـا وأخـلاق أمهـا وعائلتهـا غيـر أنهـا لا تـزال صـغيرة بالسـن فسـيربيّها علـى يديـه قبـل أن تـدخل الجامعـة وتتفـتَّح عيونهـا علـى الصـياعة كبنـات هـذه الأيـام والأفضـل مـن ذلـك أنـه أول شاب بحياتها فلم يسبق لها أنْ خُطِبَت من قبل.

سـاد الصـمت دقـائق بيننـا فعـادت دمـوعي للتسـا*قط فمسحت وجنتاي قائلة:

ابنتـي دموعـكِ لـن تنفعـكِ شـيئاً خـذي وقتـكِ بـالتفكير ولـن أُخبِرَ أخيكِ إلا أن قرَّرتي الانفصال عنه

خرجَت من الغرفة وبدأ الص*راع بين قلبي وعقلي .

لـم أسـتطع أن أفكـرأو آخـذ قـراراً فقـد أرسـل لـي أوّل ثلاثـة أيـام أشـعاراً عـن الحـب ولوعـة الفـراق فـازدادَت دموعي انهماراً وعندما لم أجبه بكلمة كتب لي :

كانا يعشقان بعضهما وافترقا وبعد سنوات التقيا وكل منهما يحمل طفلاً نادَيَا بعضهما فردَّ الطفلان نعم .

اعتصرَ الأ*لم قلبي ودخلتُ بنوبة بكاء هستيرية وبعد أن هدأت اتصلتُ بأقرب صديقاتي لقلبي ذاتها تلك التي وقفت بوجهه لعلَّي اسمع منها كلاماً يوصلني للصواب فكان ردّها:

حبكِ له كان صادقاً وهذا يعني أنكِ لن تنسيه بسهولة لكن كلامه يحتمل الوجهين فهو ربما صادق وربما كاذب ولن يكشفه لكِ شيء سوى الأيام لكن إن كان كاذباً وتزوّجتما ستذوقي المرّ معه خاصة إن كان من الرجال الذين يصاحبون على زوجاتهم من باب التسلية وتضييع الوقت حينها سينتهي حبكِ له وتعيشين معه ببؤس لا ينتهي وضعي ببالك يا صديقتي من يتحدَّث مع فتاة واحدة غير خطيبته التي لم يعش معها يوماً حتماً بعد زواجه منها ورؤيتها صباحاً ومساء سيملُّ منها ويعرفُ عليها امرأة تلو الأخرى بحجة أنَّ زوجته مملّة لا تُطاق وبذلكَ فهذا مخلوق لا يعرف أن يحب إلا نفسه.

مَضَـت أيامـاً كـان يجـب أن أذاكـر بهـا لأجـل الامتحـان لكنـي كنـتُ أفكـر بكـلام صـديقتي إلـى أن هـدَأَتْ روحـي وقـرَّرْتُ أن أدعَ*سَ علـى قلبـي فبـرغم عشـقي لـه لـم أحتمـل فكـرة أنـه ربمـا يكـون خائنـاً، فكيـفَ إنْ كـان بالفعـل كذلك!

أخبـرتُ أمـي بقـراري النهـائي وهـي بـدورها أخبَـرَت أخـي وأعطَـت كـل الأغـراض التـي أحضـرها وسـيم لأمـه ثـم اشـترى أخـي خطـاً جديـداً لـي وأخـذني مـع أغراضـي وكتبـي لمنـزل أهـل أبـي كـي أغتـنم الأيـام القليلـة المتبقيّـة للمذاكرة

حاولـتُ جاهـدة أن أنتزعـه مـن رأسـي ودرسـتُ لـيلاً ونهاروقـدَّمتُ الامتحـان وأنـا لسـتُ ضـامنة حتـى معـدّل النجاح .

طلـب منـي أخـي أن أمضـي إجـازة الصـيف عنـد أهـل أبـي لضمان عدم مقابلة وسيم لي بالصدفة أو عمداً

صَـدَرَتْ نتيجـة نجـاحي بمعـدل بالكـاد أدخلنـي معهـداً هندسـياً، لكنـي بكيـتُ فرحـاً وبعـد بضـعة أيـام أتَـتْ أمـي وقالت لي :

وضّـبي أغراضـكِ لنعـودَ إلـى المنـزل فوسـيم قـد خطـب منذ بضعة أيام .

لـم تتسـاقط دمعـة واحـدة مـن عينـي لكـن شـعرتُ أنَّ قلبـي يتمزّ*ق وروحي تصرخ من الألم

عُـذْتُ معهـا وأنـا أدعـو الله أن لا ألمحـه صـدفة كـي لا أنهـا*رَ باكية

مـا إن دخلـتُ إلـى المنـزل حتـى رأيـتُ جـدتي بانتظـاري فقالت:

لقـد خطـب وسـيم فتـاةً بعمـر الخامسـة عشـر أنهـت التعلـيم الابتـدائي ثـم خرجـت مـن المدرسـة لا تحمـل سـوى هـاتف صـغير ينفـع للمكالمـات فقـط ولـم يسـبق لهـا أن خُطِبَـتْ مـن قبـل غيـر ذلـك فهـي فتـاة منتقبـة مـن عائلـة محافظـة جـداً وهـذا طلـب أم وسـيم فقـد رأتهـا فتـاة مناسـبة أكثـر منك

كـان كلامهـا جار*حـاً وكأنهـا أهـا*نَتني وتمنيّـتُ حينهـا لـو أنـي صـمّاء لا أسـمع فقـد شـعرتُ حقـاً بالخيانـة والصـدمة من سرعة ارتباطه .

آنـذاك عرفـتُ معنـى جملـة مـا الحـب إلا للحبيـب الأول ومنـذ ذلـك الحـين باتـت دعـواتي أن ينتـز*ع الله حبـه مـن فؤادي .

مـع أنـي تجَنَّبْـتُ المشـي بالشـوارع التـي كنـا نسـير بهـا والـدخول للأمـاكن التـي جلسـنا بهـا لكـنْ مضـت أشـهراً لـم أعـرف بهـا معنـى السـعادة ، خاصـة عنـدما ألمحـه مـن بعيـد وأغـضُّ الطـرف وأنـا أمسـح دمعتـي التـي تحـر*ق وجنتـي ولـم أتوقـف عـن التخيّـل دومـاً بـأن تحصـل معجـزة تعيدني إليه .

إلـى أن أتـى يـوم زفافـه وقامـت أمـه بـدعوة جـدتي وأمـي وطلبَـت منهمـا إحضـاري ونسـيان كـل شـيء كـونَ الـزواج كمـا يقولـون قسـمةٌ ونصـيب، لكنـي لـم أسـتطع حتـى أن أتخيّلـه بجانـب فتـاة غيـري ودخلـتُ بنوبـة بكـاء هسـتيرية والنـدم يعت*صـر قلبـي بسـبب انفصـالي عنـه

وتمنَّيْتُ لو أني صدَّقته واستمرَّيتُ معه ومنذ ذلك الحين أصبح الندم والحزن لا يفارقانني .

حمَدْتُ الله أنه انتقل مع زوجته لمنزل آخر بعد زفافهما بشهر واحد فوجَّهْتُ تركيزي للدراسة لعلها تخفف عني آلامي

وبعد ثلاثة أشهر أتت جدتي ذات يوم وقالت لأمي :

يجب أن نذهب ونبارك لأم وسيم فزوجة ابنها حامل بتوأم

تحطّ*م قلبي وأصبَحْتُ جث*ة تتحرك

على الرغم من قدوم خطّابة كثر لرؤيتي غير زملاء الدراسة الذين حاولوا التقرب مني لكني كنت أرفض رفضاً قاطعاً فلم تراودني يوماً حتى فكرة كوني مع شاب غيره.

إلى أن تخرَّجْتُ من المعهد الهندسي وعَمِلْتُ مساعدة لمهندس حديث التخرج وبعد بضعة أشهر شعرت وكأنه أصبح يهتم بي فجأة مما أشعرني بالضيق وقبل أن أترك العمل أخبرتُ صديقتي فقالت لي :

أيتها الحمقاء ألم تنسي الحب المُهتَرِئ الذي نسيكِ و يحيا حياته ؟

كيف عرفتي أنه نسيني ربما زواجه كان فقط محاولة منه لينساني وماالذي يدريكِ لعله يعود لي يوماً ما

يا صديقتي البلهاء دعينا نلقي نظرة على حسابه الشخصي على الفيسوك

لا تحاولي نظرتُ مسبقاً فحسابه مقفول

فقامت صديقتي بإنشاء حساب مستعار على الفيسبوك واستعانت بصديقة ثانية لنا وقامتا بمراسلته كل واحدة على حدا قائلة بأسلوب مختلف :

أنا معجبة بوسامتكَ كثيراً مع أني لم أرَ سوى صورة ملفك الشخصي وأرجو منك قبول صداقتي والتعرف بك أكثر.

فردَّ قائلاً:

أنا شاب أعزب تعرّضت للخذلان من خطيبتي التي تخلّت عني لأجل شاب آخر ومن حينها وأنا أخشى الارتباط لكني ما زلت أبحث عن الحب إلى الآن

كان كلامه أكبر صدمة تعرضت لها بحياتي

ثم قامت صديقتي بالبحث عن منشوراته فوجَدَته عضواً بمجموعات للتعارف بين الشباب والبنات منها ما نشرَ بها يبحث عن صديقة يشاركها همومه بعد خطوبته ومنها بعد زواجه ومنها بعد أن أصبح أباً

حينها فقط عرفتُ أنَّ خارجه كان ذهباً وداخله حديداً صَدِئاً وانتزعْتُه من قلبي مثلما تُنتَزَع الشعرة من العجين وأيقنتُ أنَّ القرار النابع من العقل لا يجب أن نندم عليه إطلاقاً

وما إن طلب المهندس يدي للزواج حتى وافقتُ واستمرّيت بالعمل معه وعشنا حياة مليئة بالود والتفاهم والانسجام .

انتهت

****

* الحب وحده لا يكفى *

لـم يكـن يرغـب بـالزواج لمجـرد أنـه وصـل إلـى السـن المناسـب بـل كـان يريـد أن يخفـق قلبـه تلـك الخفقـة التـي تعلـن وقوعـه بالحـب غيـر أنـه كـان رافضـاً لفكـرة الارتبـاط عـن طريـق التعـارف خـارج الخطوبـة العائليـة ممـا جعـل أمـه ومنـذ أن وصـل لسـن الثالثـة والعشـرين تطـرق بابـاً تلـو الآخـر وتـرى فتيـات جميـلات وخلوقـات مـن عـائلات معروفـة مطابقـات للمواصـفات التـي يريـدها وبعـد أن يـتم الاتفـاق علـى كـل شـيء ويصـل الوقـت لرؤيتـه لهـا تُلغـى الخطوبـة مـع اعتـذارات الأم الشـديدة وخجلها وهي تقول :

ابنتكم لم تعجب ابني

وكان ذلك بعد أن يقول لها :

لم تعجبني لم أحبها لم يخفق قلبي لها

مضت عشر سنوات سَئِمَت الأم بها من الزيارات المتكررة لمنازل شتى الطبقات الاجتماعية مما جعلها تقول في قرارة نفسها :

ربما أحدهم قد سَحَر ابني كي يرى كل الفتيات قبيحات على الرغم من جمالهنَّ الذي يسرق لب أعقل الرجال مما يجعل حاله يتوقف فلا يتزوج أي فتاة ويقضي حياته أعزب.

وقبل أن تسأل جاراتها عن أسماء شيوخ لفك السحر استعاذَت بالله وحمدته وصلّت شاكرة أنها لم تذنب بالذهاب إلى المشعوذين والدجالين عندما أتى ابنها وقال لها :

أمي لقد وجدتها وجدت من سرقت قلبي وأريد خطبتها

انهالت دموعها من الفرح وكأنَّ ابنها قد عاد إلى الحياة بعد أن أوشك على الموت

أخبر أمه بأنه قد توظَّفَت امرأة لعمل الشاي والقهوة حديثاً بالشركة التي يعمل بها وعندما أتت فتاة لزيارتها تحديداً بالوقت الذي نزل به لطلب فنجان

قهوة فوجِئَ بتلك الفتاة التي ومن النظرة الأولى سرقت قلبه لم يعلم حينها ماذا يفعل أو يقول خشي أن يسأل الفتاة إن كانت مرتبطة فتفهم سؤاله بأنه يعاكسها وتأخذ فكرة سيئة عنه فلم يجد سوى أن يطلب من زميلة له سؤال المرأة العاملة فإذا بها ابنتها الكبيرة ذات الواحد والعشرون عاماً فطلب عنوان منزلها كي تأتي أمه لرؤيتها بعد أن قالت أمها بأنها عزباء وأنها بالأصل تستقبل خطّابينَ لرؤيتها لكنها ترفض الزواج كي تساعد أمها في الصرف على إخوتها الصغار الثلاثة بعد وفاة والدهم

مع ضجرها من رؤية الخطّابين وقرارها بالرفض المسبق لكنها سايرت أمها وخرجت لرؤية أم العريس وتم الاتفاق على كل شيء بما يرضي الله وعندما أتى مع أمه لرؤيتها خرجت أمامه وبقلبها نيّة مسبقة بالرفض كما اعتادت أن تقول:

لم يعجبني شكله لم أحبه لم أرتح له حتى

لكنه أصاب قلبها كما أصابَت قلبه من أول نظرة ورأت به من الرجولة والأمان ما لم تَرَه بكل الرجال السابقين مما جعلها توافق وبدون أدنى تفكير

ولأنَّ أموره كانت بأتم الجهوزية والسكن عند أهله أصلاً تمت الخطوبة وتبعها الزفاف بشهر واحد ولم يزرهم إلا ثلاثة مرات محضراً هدايا لها عدا الفاكهة والحلويات واللحوم ولم يتكلما بأحاديث سوى معرفة الأشياء التي يحبها كلاهما

عاشا أول ثلاثة أشهر براحة نفسية وحب ورومانسية لا مثيل لها وكأنهما عشّاق منذ سنين لم تطلب شيئاً منه سوى زيارة أمها وإخوتها كل أسبوع إلى أن مرضت أمها بالبرد والسعال والحمّى وانهارت قواها ولم تستطع الذهاب إلى العمل أيام مما جعلها تتذكر فجأة بعد أن كادت تنسى فقالت لزوجها:

أريد العودة إلى العمل

اتَّسَعَت حدقتا عينيه من الدهشة :

عمل !!عمل ماذا ولماذا لم نتَّفق من قبل على عملك

لـم تسـنح الفرصـة بـأن أخبـركَ أنـي أصـلاً كنـتُ قـد أخـذتُ الإذن من العمل ثلاثة أشهر وحان وقت العودة

يا سلام ! ماهو عملك؟

بائعة بمحل ملابس نسائية

فقال بنبرة سخرية ممزوجة بعصبية :

الله الله تريـدين العمـل لتأخـذي الملالـيم مـن النقـود فالـذي تجنيه حتماً يكفيكِ بالكاد لتشتري الشيبس والبسكوت.

حتـى لـو تـرى أنَّ مـا أجنيـه لا يكفـي لكنـي أريـد أن أسـاعد أمي

لا أقبـل وانتهـى الأمـر هـذه مهنـة تتطلـب منـكِ الاحتكـاك بالنـاس ومـن المؤكـد أنـه يرتـاد المحـل رجـالاً يشـتروا هـدايا لزوجـاتهم وحبيبـاتهم وهـذا يتطلـب منـك الحـديث مع الرجال وهذا مايغضبني وأرفضه بشدة

اطمئن لا يدخل محلنا سوى النساء

هههههه حتى لو النساء أحياناً أسوأ من الرجال

سمعت حماتها كلامهما فقطعت الحوار :

تريـدين العمـل خـارج المنـزل وبنهايـة المطـاف تعطـي النقـود لأمـك الأجـدر إن عملتـي أن تسـاعدي زوجـك بالمصـروف أو أن تعطـي النقـود لـي كـي أزيـد مصـروف البيت

احتدَّ قائلاً :

غير مسموح لها بالعمل ولا أريد مساعدة وانتهى الأمر

عـادت إلـى غرفتهـا ودموعهـا تمـلأ عينيهـا وهـي تلعـن ذلك اليوم الذي وافَقَتْ به على الزواج

فـي صـباح اليـوم التـالي اتصـل بهـا صـاحب المحـل وسـألها عـن الموعـد المحـدد لقـدومها كـون الثلاثـة أشـهر قـد مضـت فأجابتـه بأنهـا تحتـاج فقـط أسـبوعاً واحـداً لتخبـره إن كانت ستأتي أم تترك العمل

كانـت ترجـو أن تسـتطيع إقنـاع زوجهـا بهـذا الأسـبوع لعلّـه يسـمح لهـا بـالعودة إلـى العمـل فاسـتغلّت عودتـه مسـاءاً وسعادته بترقيته في عمله فقالت له :

حبيبي هل تثق بي ؟

طبعاً أثق بكِ ما هذا السؤال ؟!

لأنك تخشى عليَّ الاحتكاك بالناس وعدم الحوار حتى مع النساء

حبيبتي أنتِ صغيرة بأول العشرينات وجميلة لا تعي خبث العالم الخارجي أنا أخشى عليكِ الوقوع بمكر الناس واستغلالهم طيبة قلبكِ لنوايا خبيثة

أنا أعمل منذ أن كنت بعمر الخامسة عشر أي حتى عندما كان أبي على قيد الحياة كون صحته الجسدية كانت سيئة وازدادت ساعات عملي عند وفاته أي عندما كنت بعمر الثامنة عشر فالبتالي أنا لست جديدة على العمل وبكل تلك السنوات لم يضايقني أحد البتة وأبي على الرغم من صغر سني فقد كان مطمئناً عليَّ كون صاحب المحل ابن عم أبيه وهو كبير بالسن ويعتبرني كابنته وبالنسبة لكلام أمك عن النقود سأعطيها نصف المرتب والنصف الآخر لأمي فابن عم أبي كريم جداً

احتدَّ فجأة قائلاً:

لا تعنيني النقود إطلاقاً ولا تهتمي لكلام أمي وحتى لو كان صاحب المحل أبيكِ وكنتِ تعملين بعمر العشر سنوات أنا رجل لا أرضى بعمل زوجتي اغلقي الموضوع واتصلي بقريب أبيكِ وأخبريه أنكِ لن تأتي البتّة

بلحظة انهالت دموعها فشعر بالذنب بسبب نبرة صوته الحادة فقام باحتضانها ومسح دموعها ثم قال :

حبيبتي أنا رجل شرقي أغار على زوجتي من أقرب الناس إليها حتى أمها وإخوتها وغداً عندما يصبح لنا ولداً أو بنت سأغار عليكِ منه فلا تحدثيني عن ذلك العمل مرة أخرى أنتِ جوهرة ثمينة مكانكِ بمنزل زوجك كالملكات اللواتي لا يعملن، عملكِ داخل بيتكِ فقط

كيف سأستطيع أن أترك العمل بعد تلك المدة ؟! لقد تعودت على عملي وأحبه جداً لا أستطيع أن أحبس نفسي بالبيت دون عمل فأنا أجد نفسي وسعادتي وراحتي بعملي.

تنهَّد ثم قال :

لو كان عندكِ شهادة جامعية كنتُ سمحتُ لكِ بالعمل بها، لكن بشرط أن يكون عملكِ معلمة بمدرسة أو حضانة أي أن يكون جلُّ احتكاكِكِ بالأطفال لكن بشرط لوكان معك شهادة لكن مع الأسف لا تملكين حتى الشهادة الإعدادية .

وبسبب آخر جملة لمعت برأسها فكرة

في صباح اليوم التالي أخبَرَت صاحب المحل أنها لن تعود إلى العمل بقرار من زوجها وقرَّرَت أن تعطي زوجها أسبوعاً كاملاً قبل أن تفاتحه بالموضوع الذي يدور برأسها كي لا يتضايق منها وتنشب مشاكل بينهما لكنها لم تستطع أن لا تشعر بالحزن كونها خسرت العمل الذي طالما أحبَّته.

انهالَ عليها بهذا الأسبوع من كلمات الحب والغزل كالأمطار كان يتغزّل بكل حركة تقوم بها حتى إن قالت له :

هل أنت جائع ؟

كان يقول بابتسامة عريضة:

الحقيني يا أمي قلبي كاد أن يتوقف لجمال الحروف التي تخرج بصوتها حتماً لا توجد امرأة على وجه الأرض تعرف أن تقول هل أنت جائع بنفس نبرة صوتها

كانت تذوب خجلاً من كلماته الجميلة وبكل مرة يغازلها كانت تشعر أنَّ قلبها يحلّق بين ضلوعها لدرجة أنها نسيت أنه لم يأبه لشعورها ورغبتها بالاستمرار بالعمل

في اليوم الثامن حضَّرت له مائدة طعام رومانسية وبعد أن تناول الطعام قالت له :

حبيبي ألم ترغب يوماً بأن تكون زوجتك تحمل شهادة جامعية مثلك ؟

بالطبع لا لو كنت أبحث عن فتاة جامعية كنت تزوجتها منذ زمن لكني كنت أبحث عن الحب ولم أجده إلا بكِ

احمرّت وجنتاها من الخجل :

وأنا أيضاً

صمتت لبرهة ثم قالت :

حبيبي أريد أن أدرس وآخذ الشهادة الإعدادية ثم الثانوية وأدخل الجامعة

اتَّسعت عيناه من الدهشة :

لِمَ كل هذا ؟!

بما أنك لا ترغب أن تعمل زوجتك بمحل ألبسة وقد قلتَ لي لو أني كنت أملك شهادة جامعية لوافقتَ على عملي بحضانة أو مدرسة فأنا سآخذها لأجل ذلك

قال والضيق بانَ على ملامحه :

أنا أقصد لو كنت تزوجتكِ والشهادة معكِ لا أن تأخذيها وأنتِ زوجتي لكن لاحاجة لكِ للدارسة ولا للشهادة

أريد أن تساعدني لكي أحقق ذاتي إما بالعمل أو الدراسة

ستحتاجين دراسة سنتين لتدخلي الجامعة يعقبها أربعة سنين أي ما يعادل ست سنين وأنا أريد ولد في السنة القادمة لا أكثر

سأنجب ولداً لا تقلق وسأوفّق بينه وبين الدراسة ثم لا تنسى أنَّ أمك وأختك معنا ستساعدانني.

أمي لم يعد لديها بال للأولاد وأختي لا تؤتمن على قطة وصدقيني لو أنّ زواجنا كان قبل الغلاء كنت أعطيت أمكِ نقوداً بشكل شهري لكن ما يفيض من راتبي لا شيء يذكر

دعك من أمي أنا أريد تحقيق ذاتي إما بالعودة إلى العمل أو الدراسة

لاهذه ولا تلك ثمَّ الآن قد عرفت سبب هذا الجو الرومانسي إنه لغاية في نفسك

انتفَضَت من مكانها وخرجت إلى الصالة وقلبها يؤلمها من الحزن فقد كان ذلك الموقف كفيلاً بأن ينتزعه من فؤادها رويداً رويداً ومن حينها بدأت تنظر إليه نظرة أخرى

مَضَت بضعة أيام لم تستطع أن تنسى بها كيف أنه لم يُكَلّف نفسه حتى عناء الطلب منها أن تعود وتجلس معه لتكمل طعامها مما جعلها وبشكل شبه يومي تقول له :

لا أستوعب رفضكَ القاطع لأي شيء يريحني لا عمل ولا دراسة ثم إنَّني كما قلتُ لك لو أنّ ظروفنا كانت تسمح لي كنت أكملت تعليمي لكن وضع أبي جعلني أعمل وأخفف عنه مصروفي ومصروف إخوتي

فيردُّ بضيق كل مرة :

ألن تكفي عن هذه الأسطوانة أم تحسبين بإعادتكِ للكلام أنكِ ستستطيعين إقناعي ؟! ما برأسي سيبقى برأسي

برغم ذلك حاولت تارة أن تقنعه بطريقة رومانسية وتارة بالغضب والانفعال إلى أن طفح الكيل بها ذات مرة وقامت بالصراخ بوجهه فقام بصفعها ذات مرة كي تصمت وتكف عن الكلام بنفس الموضوع مما جعلها تأخذ ملابسها وتترك له رسالة كتبت بها :

خطـأي الوحيـد أنـي عنـدما قبلـتُ بـك تَبِعْـتُ قلبـي ولـم أُحَكِّـم عقلـي وأطلـب مـدة خطوبـة أطـول وأحـاورك بـأني لـن أتـرك العمـل طالمـا حييـت لكنـك رجـل أنـاني لا تعـرف مـن الحـب سـوى اسـمه تريـدني أن أحيـا معـك كـأني شـيء تملكـه مثـل هاتفـك وبيتـك وهـذا الوضـع لا يلائمنـي وأمامـك ثـلاث خيـارات إمـا عـودتي إلـى العمـل أو دراستي أو طلاقي

اعتقـد أنهـا لحظـة غضـب نتيجـة صـفعه لهـا لكـن مضـت أيـام أعقبهـا أسـابيع لـم يسـأل عنهـا اعتقـاداً منـه أنهـا كمـا خرجـت بـدون علمـه وبإرادتهـا سـتعود إلـى المنـزل بإرادتهـا وأنـه رجـل لـن تسـتطيع أي امـرأة أن تركعـه حتـى لـو كـان يحبهـا وذات يـوم اتصـلت أم زوجتـه بـه وطلبـت منـه القـدوم لزيـارتهم فحلّـق قلبـه فرحـاً بـأنَّ زوجتـه قـد لانـت بـآخر المطـاف وتريـده أن يـأتي شخصـياً لأخـذها كـي تحـافظ علـى هيبتهـا أمـام عائلتـه لكـن الصاعقة كانت بأنَّ كلام أم زوجته كان :

بعـد أن أهملْـتَ زوجتـكَ أسـابيع عـادت إلـى العمـل وهـي تنتظر منك ورقةَ الطلاق

طلاق أي طلاق ونحن لم نكمل سنة على زواجنا

يشهد الله عليَّ أني حاولتُ إقناعها يا بني لكنها مُصِرَّة على العمل كي لا تصبح مثلي يوماً ما فأبيها كان رافضاً لفكرة عملي بنفس محل الألبسة عندما كنت شابة فكان يقول مثلك بأنه لا يسمح لزوجته بالعمل إلى أن مَرِضَ مرضاً شديداً جعله غير قادر على العمل فقرر أن يسمح لابنته بالعمل في محل الألبسة كي تكتسب خبرة في معاملة الزبائن كونها لا تزال صغيرة ولأني كنت قد كبرت بالسن ولا أجيد عمل شيء أصبحتُ أعمل طاهية ليلاً ونهاراً في بيوت الأغنياء مما جعلني أهمل أطفالي وبيتي لكن عند وفاة زوجي ساق الله لي أحداً من أقارب الأغنياء الذين أعمل عندهم وقام بتأمين عمل لي في شركتكم كي أستطيع رعاية أطفالي بقية اليوم وزوجتك تخشى أن تصبح نهايتها سيئة إن لم تكن خبيرة بعمل ما وهذا العمل هو ما أحبَّته.

خرج من منزلهم مصدوماً حتى بدون أن يستأذنها بالذهاب وباتت فكرة الطلاق تراوده بالفعل لأنها

خالفَت كلامه وعادت إلى العمل كونه لم يتفَهَّما ولم يقتنع بكلام أمها .

مضت أيام عليه وهو يتخيل كيف ستصبح أيامه بدونها وكيف سيستيقظ صباحاً بدون أن يجدها جانبه وكيف أنه لن يكون وجهها آخر وجه يراه قبل نومه وكيف أنها لن تكون أماً لأولاده إلى أن قال بعد تفكير طويل :

لقد أحببتها من أعماق قلبي لكن من الواضح أنها لم تحبني يوماً كونها طلبت الطلاق ولم ترضى بأن تكون ربة منزل على الرغم من أني لم ولن أنقص عليها شيء لكنها من النساء اللواتي يحببن أن يعملن كي يتمرَّ*دن على أزواجهن ويعاندونهم بكل كلمة وفعل وهذا الذي لا يناسبني

مما جعله يوافق على الطلاق وأثناء إنهاء أوراق الطلاق كان ينظر لعينيها متظاهراً باللامبالاة وقلبه يبكي على فراقها لكن كبريائه كان يمنعه من الموافقة على طلبها أو رجائها أن تعود إليه .

لـم تمـضِ بضـعة أسـابيع حتـى قـرر أن يتـزوج امـرأة تنسيه حـب حياتـه وأقسم لأمـه أنـه سيوافق علـى أول فتـاة تعجبهـا وبعـد بضـعة أيـام ذهبـت لرؤيـة فتـاة فقصَّـت لعائلتهـا سـبب طـلاق ابنهـا لزوجتـه قبـل مـرور عـام علـى زواجـه وأخبـرتهم أنَّ شـرط ابنهـا الوحيـد أن تكـون زوجتـه ربـة منـزل لا تعمـل ولا تفكـر بالعمـل أو الدراسـة فوافقـت عائلتهـا والفتـاة كـونَ حلمهـا الوحيـد كـان أن تصبح أماً وربة منزل .

كانـت ملامحـه بليلـة زفافـه كأنـه يُسـاقُ إلـى الإعـد*ام وبكـل لحظـة كـان يتـذكر زفافـه علـى زوجتـه الأولـى وكيـف أنـه كـان يحلـق فـي الأجـواء مـن الفـرح والإبتسـامة لم تفارق وجهه لحظة .

عـاش أشـهراً ابتسـم فيهـا مرَّاتـاً معـدودة إلـى أن أتـت زوجته إليه وهي تطير فرحاً ثم قالت :

أنا حامل

ابتسـم لهـا بشـق الأنفـس ثـم تنهَّـد حزنـاً وقـال بقـرارة نفسـه :

لـو أنهـا كانـت حبيبتـي التـي قالـت ذلـك كـم سـأكون سـعيداً حينها

مضـت عشـر سـنوات كـرّس بهـا حياتـه لتـأمين مسـتقبل مشـرق لابنـه واعتقـد أنـه قـد نسـيَ طليقتـه إلـى أن جـاء ذلـك اليـوم الـذي أتـت بـه إلـى الشـركة التـي يعمـل بهـا بصـفتها موظفـة جديـدة شـعر حينهـا بالنـدم يعتصـر قلبـه عنـدما تلاقـت عيـونهم وابتسـمت لـه مـن بعيـد فقـال فـي قرارة نفسه:

يـا ليـت الـزمن يعـود يومـاً يـا ليتنـي وافقـت يـا ليتنـي رجوتهـا أن تعـود إلـي أيقـن حينهـا أنـه لـم ينسـاها قـط فعـاد إلـى المنـزل فـي ذلـك اليـوم وأغلـق علـى نفسـه البـاب وبكـى من أعماق قلبه وهو يتحسر بألم على خسارتها

سـألتها زميلتهـا إن كانـت مخطوبـة أو متزوجـة فأجابتهـا أنهـا طلبـت الطـلاق كـون زوجهـا لـم يسـمح لهـا بالعمـل أو الدراسـة ممـا جعلهـا تضـاعف مجهودهـا فـي العمـل وتحـرم نفسـها مـن كـل شـيء كـي تسـتطيع أن تـوفر مصـاريف دراسـتها فأخـذت الشـهادة الاعداديـة أعقبتهـا الثانويـة وتخرجـت مـن الجامعـة وقامـت بعمـل ماجسـتير

بـإدارة الأعمـال وأنهـا تحمـد الله علـى تجربـة الـزواج الفاشـلة التـي فتحـت عيونهـا علـى الدراسـة حيـث أنهـا لـم تكـن ببالهـا يومـاً غيـر أنهـا لـم تشـعر بالحقـد علـى طليقهـا ولم تتحسر على أيامه أو تندم على الزواج به

فـذاع صـيتها بالشـركة أنهـا المـرأة التـي يجـب أن يُقتـدى بنجاحهـا وإصـرارها لتحقيـق ذاتهـا ممـا جعـل زميلهـا بالعمـل يُعجـب بهـا ويتقـدم لخطبتهـا وبعـد أن أبـدى سـعادته العارمـة بـأن تبقـى زميلتـه فـي العمـل وشـريكة حياته إلى الأبد وافقَتْ على الزواج به

لـم يحتمـل طليقهـا أن يراهـا بشـكل يـومي مـع زوجهـا ممـا جعلـه يتقـدَّم بطلـب اسـتقالة مـن عملـه الـذي قضـى بـه عشـرون عامـاً وانتقـل للعمـل بشـركة أخـرى وأمضـى بقية حياته يحاول انتزاعها من فؤاده

أمـا هـي فعاشـت مـع زوجهـا بتفـاهم وانسـجام لا مثيـل لـه أعقبه الاعتراف المتبادل بينهما بالحب

انتهت

****